سوريتنا

«عندما يقرر العبد أن لا يبقى عبدا فإن قيوده تسقط»
غاندي

صفحتنا على فيس بوك:
www.facebook.com/souriatna
souriatna@gmail.com souriatna.wordpress.com

سوريتنا | السنة الأولى | العدد (50) | 2 / 9 /2012 أسبوعية تصدر عن شباب سوري حر

عناقيد من العنب مازال في كرومكم

مجزرة النظام السوري والدنيا في داريا السلام

ريّان ماجد

440 شهيد سقطوا اليوم، 25 آب 2012، 300 منهم في داريا"، بلدة غياث مطر التي ترمز أكثر من أي مكان آخر في سورية كلّها إلى السلمية.

لم يسبق أن سقط، ولا نصف هذا العدد، في أي يوم من 528 يوماً من الثورة السورية.

440 إسماً، 440 وجهاً، 440 قصة.. وقاتل واحد".

هذا ما كتبه الكاتب ياسين الحاج صالح على صفحته على "فايسبوك" عن المجزرة التي ارتكبها النظام السوري في داريا، قبل يومين.

"لا يحضر إسم داريا في أذهان السوريين من دون أن يحضر معه الإعجاب بالمبادرات المدنية المستقلة والجريئة التي أطلقها شبابها الناشط في السنوات السابقة ونضالاتهم السلمية المدهشة منذ بدء الثورة السورية العظيمة"، وفقاً للبيان الذي صدر عن لجان التنسيق المحلية في سوريا.

ولعلّ أكثر الصور المعبّرة عن سلمية داريا، هي صورة لتظاهرة حمل فيها أبناء داريا وروداً في مواجهة الرصاص، وأكثر الأسماء المرتبطة بهذه المدينة هو اسم غياث مطر، الذي اشتهر بنضاله السلمي ومعارضته كل أشكال العنف. لذلك اعتقلته أجهزة النظام السوري في داريا في 6-9-2011 وعاد بعد أربعة أيام جثة هامدة وآثار التعذيب ظاهرة على جسده، بحسب صفحة "كلنا الناشط الحر غياث مطر".

وانتشرت على صفحات التواصل الاجتماعي صور لمقابر جماعية في داريا، ولأطفال تحت الركام، ولأم تحتضن ابنها وقد فارقا الحياة.

كما تمّ تداول صورة مفجعة لطفلة كانت قد حملت يافطة قبل فترة تقول:

"قتلوا الأطفال بالدَولة، حمص مو كتير بعيدة عن دار يا!! يا رب تنصر الثورة قبل ما يجي دوري.. ". يبدو أن دورها ودور العديد من أطفال داريا، أتى..

لكن المجزرة لم تنته هنا. فعدا عن الصمت الدولي و"عجزه الكامل عن كبح النظام وحلفائه الإقليميين والدوليين عن قتل المدنيين السوريين" كما جاء في بيان لجان التنسيق المحلية في سوريا، جاء الإعلام السوري ليكمل ما بدأه النظام.

إذ بعد الانتهاء من القتل، دخلت مراسلة قناة "الدنيا" السورية، لتغطي حصرياً مشهد ما بعد الحدث.

"فوق هول المجزرة، تأتي هذه المذيعة لتحفر الجرح الدامي بسكين ميكرفونها البشع بجنون لا يصدّق"؛ هكذا علّق المخرج هيثم حقي على الفيديو الذي انتشر على "فايسبوك" عن تغطية قناة "الدنيا" لما حصل في داريا. تنتقل المراسلة في الفيديو بين الجثث وتقول:

"هنا خلفي امرأة لا تزال على قيد الحياة". تسأل السيدة الجريحة التي ما زالت على الأرض وسط الركام: "خالة مين عمل فيكي هيك؟" والسيدة لا تقوى على الكلام. هنا يأتي شباب من الجيش ويحملون السيدة على نقالة إسعاف. قدومهم هذا يترافق مع موسيقى "تصويرية".

تتابع المراسلة مهمتها "الحصرية" وتسأل هذه المرة "ببرودة" و"سادية"، طفلتين بجانب جثة أمهما وعلامات الرعب والصدمة بادية على ملامحهما الرقيقة: مين يللي جنبك؟ تجيب الفتاة: "أمي". عندها أيضاً، يأتي شباب من الجيش ليحملوا الطفلتين، على أنغام الموسيقى ذاتها.

وقد جاء في تعليق تناقلته صفحات عديدة على فايسبوك: "فقط في سوريا عمليات الإسعاف والإغاثة تنتظر انتهاء المقابلات".

تعقيباً على هذا المشهد، كتبت الكاتبة سمر يزبك على صفحتها على فايسبوك: "بين طلاء أظافر مذيعة قناة "الدنيا" وشوارع "داريا" لون واحد، هو الأحمر، وفرق واحد، بيننا وبينهم، يختصر المسألة: هو الأخلاق!".

لاجئو سوريا بالأردن .. جحيم بعد جحيم

وسط صحراء قاحلة وزوابع منهمرة بالأتربة والغبار حولت خيمهم البيض إلى بُنّية داكنة، وجد اللاجئون السوريون في الأردن أنفسهم فجأة بعد رحلة الفرار من الموت.

أيام ثقيلة يقضيها أكثر من 2600 لاجئ في أول مخيم للاجئين سمحت السلطات الأردنية بإقامته في منطقة الزعتري القريبة من الحدود السورية والتابعة لمحافظة المفرق وتشرف عليه المفوضية السامية للاجئين التابعة للأمم المتحدة والهيئة الخيرية الأردنية الهاشمية.

عند دخولنا المخيم صباح الأحد بعد أسبوع من افتتاحه، لم يكن التيار الكهربائي قد وصل بعد، رغم تأكيدات المسؤولين أنه سيصل خلال وقت قريب بعد استكمال التمديدات اللازمة.

كان الصمت سيد المكان، فيما دبت الحركة والنشاط في مقدمة المخيم الذي نصبت فيه خيمة يتجمع فيها اللاجئون حديثو الوصول من جحيم سوريا.

وتتوزع في المخيم نقاط للمياه غير الصالحة للشرب بغرض النظافة، وسط شكاوى من ضعف التزويد بالماء الصالح للشرب البارد خاصة في وقت الإفطار، الذي لاحظت الجزيرة نت أنه قد يسبق وقته لدى العديد من اللاجئين الذين اضطروا له في نهار رمضان لصعوبة مقاومة الأوضاع الصعبة ودرجة الحرارة العالية التي ترتفع أكثر داخل الخيام.

العودة لبشار

الحاجة أم بسام (70 سنة) سورية من طفس بدرعا وصلت للأردن قبل عشرة أيام مع 14 من عائلتها هم ابنتها وزوجها وزوجة ابنها وأولادهما، عاجلت بالرد على أسئلتها "رجعوني على بشار الأسد الموت هناك مثل الموت هنا".

ودون أن نكرر أسئلة كثيرة عاجلتنا السبعينية بسيل من العبارات التي تهاجم المخيم وتقول "هربنا من قصف بشار لحماية أولادنا وأعراضنا فجئنا للصحراء والغبار، يا عالم خافوا الله فينا".

أما أبو خالد من تسيل في درعا فتبدو وطأة الأمور عليه أقل حدة، حيث يقول للجزيرة نت "أنا أعرف أن المكان سيئ ولكن ليس أسوأ من القصف في سوريا، ونحن نريد إزالة الخيم واستبدالها ببيوت خشبية لأن الرياح أزالت الخيم أكثر من مرة وأطفالنا لا يستطيعون العيش هنا ومن لديه مريض يزداد مرضه".

أثناء التجوال دخلنا إحدى الخيم لنجد عائلة من البياضة في حمص يقول أحد أفرادها "هيكل" إنه وصل الأردن فجر الأحد ونقل مباشرة للمخيم وإنه يعمل في رعي الأغنام أصلا وإن هذا المخيم من خبرته "لا يصلح لحياة الحيوانات".

وبجانبه كانت تجلس والدته التي أظهرت أمامنا تقارير طبية وصورا شعاعية تؤكد إصابتها بالسرطان وأنها بحاجة لاستكمال جرعات كيمياوية دون تأخير.

بين الخيم التي يبلغ عددها 2100 قابلتنا سيدة وصلت من حمص فجر الأحد برفقة طفليها اللذين نجت بهما من جورة الشياح، لكنها منعت من الخروج من المخيم رغم أن زوجها يعيش في الأردن ويعمل في عمان.

السوريون يستبقون حديث الأسد بتكبير وتكذيب إلكترونيا

صفحات سورية حددت ساعة الصفر لحظة بدء المقابلة وظهور الرئيس

العربية - جفرا بهاء

استبق السوريون المقابلة مع الرئيس بشار الأسد التي بثتها قناة «الدنيا» بدعوات للتكبير والتكذيب إلكترونيا.

ودعت عدة صفحات سورية منتشرة على نطاق واسع على «فيسبوك» لمظاهرة إلكترونية شاملة وعاملة في اللحظة التي سيبدأ بها الأسد كلامه «إلى جميع الأدمنية بالصفحات، في اللحظة التي سيظهر بها الكذاب على التلفزيون، يجب أن تهتز «النت» وسوريا ستضج بكلمة وحداة هي: بشار الأسد كذاب.. Bashar al-Assad a liar، وبدل التكبير من اليوم سيخرج التكبير من النت».

ومن الصفحات المشهورة التي دعت للفكرة: «مغسل ومشحم حمص، مجلة سورية بدا حرية، حمص نيوز، وتنسيقية شباب كفرنبل والصفحة الشركسية لدعم الثورة السورية».

ومن المعروف أن موضوع التكبير بقول كلمة «اللّه أكبر» من أكثر ما ميّز الثورة السورية، إذ استعمل السوريون طريقة التكبير من البيوت مع بداية استخدام النظام للرصاص وقتل المتظاهرين السلميين كإثبات وجود أولا، ولإخافة الأمن السوري، والتأكيد على وحدة الناس في المنطقة.

كما ابتكر السوريون ما سمّوه «المظاهرة الإلكترونية» بعد فترة بسيطة من انطلاق الثورة السورية، وتعتمد مظاهراتهم الإلكترونية على اعتماد جملة من جمل الثورة مثل: «الشعب السوري واحد، سوريا بدا حرية»، ومن ثم كتابتها وتكرارها حتى تبدو الصفحات السورية العامة والخاصة وكأنها مظاهرة تهتف مع الهاتفين في الشوارع.

ومن ناحية أخرى كتب الناشط السياسي إسلام أبو شكير على صفحته في «فيسبوك»: «سرّي للغاية: المشكلة عندي موعد غرامي الساعة تسعة.. صرلي سنة عم أشتغل عليه.. فما معقول أعتذر بعد كل هالشغل.. وما معقول أيضاً السيد الرئيس يأجل موعد اللقاء لحتى أخلّص.. ضروري حدا منّا يتنازل».

وكتب ناشط آخر w. b «إعلان حالة الطوارئ في كافة المشافي إعتباراً من الساعة التاسعة مساءً بتوقيت دمشق تحسباً لحالات ارتفاع الضغط والأزمات القلبية» في إشارة إلى موعد مقابلة بث المقابلة.

بينما سخرت صفحة «مغسل ومشحم حمص الدولي للدبابات» من المقابلة فكتبت: «تبث لكم اليوم قناة الدنيا في الساعة التاسعة مساءً اعترافات الإرهابي الخطير بشار الأسد الذي يعتبر زعيم العصابات الإرهابية المسلحة التي هددت وروعت المدنيين وساهمت في تخريب الممتلكات العامة والخاصة في سوريا.. تابعونا.. يرجى النشر ولا تنسوا كيس البزر وكاسة الشاي وصفحة المغسل». علماً أن صفحة «مغسل حمص» تعد من أكثر الصفحات انتشاراً ويشترك فيها الآلاف من السوريين.

وتزداد لهجة السخرية مع صفحة «دعم هديل حبيبة أبو البيش»، فكتبت الصفحة: «هذا وقد كانت معكم مذيعة قناة الدنية بمقابلة حصرية مع أبو البيش من.. من تحت التخت ليش هو مسترجي يطلع من تحتو».

تحذيرات من كارثة إنسانية تواجه اللاجئين السوريين

المركز العالمي للدراسات التنموية في لندن يقدر عددهم بربع مليون

حذّر المركز العالمي للدراسات التنموية، ومقرّه لندن، من تعرض اللاجئين السوريين الفارين من أتون الحرب في سوريا إلى كارثة إنسانية كبيرة إذا ما استمرت أوضاعهم على الحدود السورية على حالها.

وأوضح أن أعداد اللاجئين السوريين الفارّين إلى خارج سوريا قد تصل إلى ربع مليون لاجئ قريباً معظمهم من الأطفال والنساء. في حين أن أعداد النازحين السوريين في الداخل قد تفوق هذا الرقم، خاصة أن قرى ونواحي بأكملها باتت مدمرة وغير صالحة للعيش في ظل انعدام الأمن والخدمات.

وبحسب المركز العالمي للدراسات التنموية، فإن قدرة بعض الدول كالأردن ولبنان أصبحت محدودة في استقبال أعداد إضافية من اللاجئين السوريين، الأمر الذي يشكل تهديداً لحياتهم، بالإضافة إلى ذلك فإن بقاء العديد من اللاجئين داخل الشريط الحدودي السوري سوف يعرّض الآلاف منهم إلى مخاطر الاعتقال أو القتل.

وتفتقر العديد من المخيمات التي تستضيف هؤلاء اللاجئين إلى المياه والكهرباء والخدمات الصحية الكافية، وهو ما يهدد بانتشار الأمراض والأوبئة، لاسيما أن العديد من الأطفال حديثي الولادة لم يحصلوا على اللقاحات الطبية اللازمة.

وألمح المركز إلى غياب القدرة الاستيعابية للدول التي تستقبل اللاجئين السوريين على توفير المدارس، ما يعني أن قسماً كبيراً منهم سوف يتأخر في فرصة حصوله على التعليم.

وأشار إلى خطورة استخدام اللاجئين كورقة ضغط من قبل النظام السوري في محاولته لنقل الأزمة إلى الخارج كون هذا الأمر ينعكس سلباً على جميع الأطراف بما في ذلك النظام السوري نفسه.

ودعا المركز العالمي للدراسات التنموية إلى ضرورة عقد مؤتمر دولي للمانحين لمساعدة اللاجئين السوريين في محنتهم وتوفير مستلزماتهم الضرورية.

وقدّر حجم المساعدات المطلوبة للاجئين السوريين بقرابة 1. 5 مليار دولار كافية لمدة سنة واحدة فقط، مشدداً على ضرورة التحرك الدولي السريع لتلافي كارثة إنسانية حقيقية إذا ما استمرت معاناة اللاجئين إلى فصل الشتاء.

وفيما يخص النازحين في الداخل السوري، دعا المركز العالمي للدراسات التنموية، الحكومة السورية إلى تسهيل عمل المنظمات الدولية للتعرف إلى أحوال النازحين وتسهيل خروج آمن لهم.

أوجاع وطن

بعض إنسان..

■ منى النواب

داريا: (د)مار (أ)لم (ر)ثاء (يـ)تم..

أسامي عُلّقت عليك لن تُنسى وإن اغتالوك ألف مرّة وإن شوّهوا جسدك بعدد قطرات الدّم الصالحة للوضوء على نقائها وطهارتها لنصلّي ونستنجد السماء لتبعد عن الأرض سفالتهم وحقدهم وبشاعتهم..

«ميشلين عازار» الوجه الآخر للإجرام.. كأن من ماتوا لا تكفيهم ميتة واحدة.. وكأنّ لا حقّ للإنسان هنا حتّى في أن يموت بسلام وبهدوء وبكرامة دون أن يسبق توديعه كل تلك اللامبالاة وذلك الفرح الذي لم يخفى على أحد في وجه تلك الكارثة ميشلين مذيعة قناة الدنيا التي لم تكترث حتّى لقيمة هؤلاء الذين قُتلوا في المجزرة ولم تتوانى على أن تتعامل مع هول هذا الحدث كسبق صحافيّ لإلباس المجد للجيش السوريّ وتصويره كبطل ومنقذ وهو هدفها الأساسيّ لتجرّده من تهمة القذارة وتحاول جاهدا إخراجه من المستنقع الذي اختاروا طوعا المكوث فيه...

دون أن يبدو عليها التأثّر بالمشاهد القاسية التي نقلتها وهي تتنقل بين الضحايا كأنّهم أكداس من القمامة المُلقاة ومع هذا لم يسئها حتى رائحة الدم والموت ولم تكترث حتى لحال العجوز التّي كانت ملقاة في المقبرة شبه فاقدة للوعي لتبدأ مباشرة في اقتلاع شهادتها غصبا لتؤكد للعالم أنّهم أخطئوا في تقديرهم وأنّ الجلاّد كان فعلا الضحيّة غير مكترثة لحال المرأة الصحيّة والنفسية لما أصابها من رعب جرّاء ما حصل في المجزرة وفقدانها لأطفالها وجرّاء ما حصل بعد ذلك..

مذيعة قذرة على رأسها لم تفكّر حتى في تهدئتها وحصن من الجيش الفاسد خلف الكاميرا يُملي عليها ما يجب أن تقول ولا همّ للإعلامية ابنة النظام المجرم إلا أن تدوس على دمائهم جميعا فتتخذ من رعب المرأة وهلعها وخوفها نيشانا تصعد به درجة أعلى وأقرب للوحشيّة واللاإنسانية لتنتقل بعد ذلك هادئة كأنها في مسرح للدمى لتجد طفلة صغيرة لتسألها بكلّ برود «مين هي اللّي حدّك؟» لتجيب الطفلة وهي لم تستوعب بعد ما جرى ولم تعرف ما خسرت «أمّي» هي لم تعي من الخوف ولصغر سنّها ولوجود مدفع صغير كالمايكروفون تراه لأوّل مرة أمام وجهها كبر مصيبتها وأنّها قد فقدت نهائيّا والدتها وفقدت تلك الكلمة «أمّي» للأبد وأنّ القتلة قبالتها ينقذونها ويزرعون العوسج في ذاكرتها التّي لن تبذل جهدا عظيما لاحقا في استرجاع ما حصل ولا استرجاع صورة المذيعة التّي لم تتكلّف حتى محاولة طمأنتها ونزع الخوف منها....

و الأمثلة كثيرة لأنّها كانت تبحث عن الضحايا كأنّها تضيف لنفسها اكتشافا جديدا تفخر به مع كل جثّة وكل حيّ خائف لم يخرج من الصدمة بعد ولا يفهم ما حل به..

داريا لن تصالح ولن تنسى المجزرة التّي راح ضحيّتها ما يفوق الـ440 شهيدا بين إعدامات ميدانيّة بالرصاص.. القتل والحرق والقصف الجوي ولن تنسى المجزرة الإعلامية التي ارتكبها الإعلام الموالي للنظام في حقّها لأنّهم قتلوا كلّ شهيد مرّتين..

«ميشلين عازار» من المؤيدين الذين سحقوا الإنسانية فيهم ورضوا بأن يصعدوا على دم الشعب الذي هو ليس فقط من معارضين بل من مؤيّدين يحترمون إنسانية الآخر ويؤمنون بالاختلاف وبأنّ الوطن للجميع لكل مؤيّد ومعارض دون دم آخر يُراق ودون أن يُتعامل مع كل الأرواح المغتالة أنّها حصيلة يومية ومشهد اعتياديّ لم يعد يثير فينا أيّ نوع من الاستنفار والاعتراض..

لشهداء هذه الأرض الذّين يتساءلون.. «هل نحن أشياء وهل بشر هُم».. هل دمنا ماء وهل دمهم دم»..

لا تحزنوا فلقد اعتدنا أن يرحل دائماً من هم أولى بالبقاء..

محاولات ذكورية لاستغلال معاناة الفتيات السوريات

تتداول بعض وسائل الإعلام في الآونة الأخيرة أخباراً عن انتشار ظاهرة الزواج من لاجئات سوريات نزحن بسبب الاضطرابات التي تجتاح سوريا، بحجة أن أهلهن يردن الستر لهن بأي ثمن. منتديات سورية مختلفة نفت استفشاء هذه الظاهرة قطعيا، لكن التقارير والمؤشرات الواردة من الأردن وبلدان عربية أخرى تشير إلى وجود هذه الظاهرة، وإلى دعوات حتى من الساحة الدينية لمساعدة هذه الفئة بـ "الزواج منهن لسترتهن".

أريد زوجة

سئم القائمون على صفحة "سوريات مع الثورة" من طلبات الزواج التي تردهم من "شباب عرب يريدون الزواج من لاجئة سورية لسترتها، مما دفع بمدير الصفحة "طارق الجزائري" الطلب من قراءه قائلا: "أرجو من الجميع عدم إرسال هذه الرسائل لأنه الوقت مو وقت زواج عنا بسوريا في حرب وأن ما تسمعونه من إشاعات تحصل في الأردن وتركيا ولبنان من زواج اللاجئات السوريات بالمجان هذا كلام فارغ وعاري من الصحة".

لكن تقارير محلية أردنية تنوه لانتشار الظاهرة في المدن التي نزح إليها سوريون. حيث نشر موقع الصوت الإلكتروني الأردني مقالة عن صحيفة الدستور بعنوان "أردنيون يستغلون الأحداث ويتزوجون من لاجئات سوريات". يقول كاتب المقالة ماهر أبو طير:

"تجلس هنا وهناك، فلا تسمع حديثا هذه الأيام إلا عن الزوجة السورية التي يمكن الزواج منها بمائة دينار، أو بمائتي دينار وما عليك إلا أن تذهب إلى المفرق أو عمان أو الرمثا أو إربد أو الكرك، لتختار حورية من حوريات الشام، لأن أهالي هؤلاء يريدون سترة بناتهم، ويقبلون بزيجات عاجلة، دون شروط، مجرد مهر عادي، وزواج سريع، لأن الأب المكلوم يريد ستر ابنته بأي زواج، حتى لو تقدم لها الأعور الدجال".

تقرير آخر نشره موقع أخبار 24 الأردني يشير إلى عدد الطلبات التي تقدم بها سعوديون للسفارة السعودية في الأردن للموافقة على طلبات الزواج ما بين سعوديين وسوريات مقيمات في الأردن.

قاصرات

يصعب الوصول إلى أرقام وإحصائيات عن عدد الزيجات وإذا كانت هذه الزيجات مرتبطة مباشرة بالأحداث الدموية التي تجتاح سوريا منذ اندلاع الثورة. لكن هنالك أيضا مؤشرات قوية بأن هنالك إقبالا على تزويج الفتيات السوريات لا سيما الصغار منهن والتي لا تتجاوز أعمارهن 14 أو 15 عشر من العمر.

في تصريح لشبكة الأنباء الإنسانية (آيرين) قال دومينيك هايدي الممثل المحلي لصندوق الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسيف) إن الصندوق يدرك مشكلة تزويج القاصرات السوريات في الأردن مضيفا: "إننا قلقون بشأن الزواج المبكر الذي يستخدم كآلية للتأقلم مع الأوضاع". ويعلق عاملون ميدانيون في الأردن بأن ظروف المعيشة الصعبة ومخاوف التعرض للاغتصاب تدفع بالأهالي السوريين النازحين تزويج بناتهم في سن مبكرة. وبسبب تحديد سن الزواج القانوني يلجأ الأهالي للزواج غير الرسمي وغير المسجل لدى السلطات.

المرأة في النزاعات

حول ظاهرة زيجة السوريات تقول الناشطة السورية وأمينة سر تيار بناء الدولة السورية منى غانم لإذاعة هولندا العالمية: "ليس لدي معلومات مؤكدة لكني لا أستبعد أن تكون هذه الظاهرة منتشرة لا سيما أن النساء هن ضحية العنف في مثل هذه الصراعات المسلحة. يساعد في ذلك أيضا البيئة الاجتماعية الذكورية التي دائما تستغل ضعف المرأة لأجل مصالحها".

أما الناشطة العراقية ينار محمد من منظمة حرية المرأة العراقية فلا تستبعد أن تمر السوريات بنفس السيناريو الذي مرت به المرأة العراقية خلال أعوام الاقتتال الطائفي: "مرت المرأة العراقية ما بين 2005 و2009 بمرحلة فيها تم بيعها وشراؤها في دول الخليج برخص التراب، وكان هنالك تسعيرة واضحة لها".

ردا على سؤالنا حول خبر إجبار بعض النساء السوريات اللاجئات في العراق على الزواج المؤقت وهو خبر تناقلته مواقع عربية، تقول الناشطة غانم: "في رأيي لا توجد أي تقارير دقيقة اليوم لأننا نفتقد الآلية العلمية المنهجية".

أما الحقوقية ينار محمد فلا تستبعد أن يكن اللاجئات قد اجبرن على الزواج قائلة: "هذه الأخبار لا تنتشر على الملأ.. في العراق رأينا الموضوع نفسه في المناطق التي تعرضت لصراعات طائفية في ديالى والفلوجة وأجزاء من بغداد حيث هنالك فتيات شابات أجبرن على الزواج فقط ليحصلن على سقف فوق رؤوسهن".

واجب وطني

ويبدو أن القضية انتشرت إقليميا حتى أنها باتت الشغل الشاغل لبعض رجال الدين. حيث نشرت صحيفة الفجر الجزائرية خبر إفراد عدد من الأئمة جزءا من خطبة يوم الجمعة لهذه القضية ليحثوا الجزائريين على "الزواج بالسوريات اللواتي أجبرتهن ظروف الحرب ببلدهن على الفرار نحو الجزائر طلبا للأمن والأمان". وفقا للتقرير فإن الدعوة كانت لكل جزائري مقتدر بأن "يتزوج لسترتهن حتى ولو كانت متزوجا" وان هذا هو واجب وطني.

مبادرات السترة على النساء ليست جديدة في مجتمعاتنا العربية. فعقب الحرب الإسرائيلية أطلقت جمعيات فلسطينية حملات لتزويج أرامل الشهداء ودعمت المتقدمين للزواج من أرملة شهيد ماديا مما أثار انتقادات جهات نسوية التي اعتبرت أن المؤسسات حولت الأرامل لسلعة يتداول بها.

عروس على طبق من فضة

تقول الناشطة العراقية ينار محمد "الذكور في أي مجتمع لن يرفضوا إذا قُدمت لهم فتاة شابة على طبق من فضة، وعندما يقال له أن واجبه الوطني أو الديني أن يستر على هذه النسوة سيستغلها.. ونتيجة لذلك يرتفع عدد الزوجات الثانية والثالثة والرابعة". هذا هو على الأقل السيناريو العراقي كما تصفه الناشطة محمد:

"في العراق في مناطق العراق الأوسط لدينا 20٪ من النساء البالغات يصنفن تحت ما يسمى بالزوجة المهجورة، تعتمد على إحسان الناس هي وأطفالها". وتتابع "إذا كان الهدف هو سترة اللاجئات السوريات كما يقولون، فلماذا لا يسترون عليهن بإقامة مساكن وتوفير رواتب لهن أم أن قضية الزواج من سورية هو مثل شراء سيارة جديدة موديل 2013".

الكثير من المعلقين على الموضوع عبر المواقع الالكترونية يرون في طلبات الزواج من سوريات إهانة للمرأة السورية واستغلال لوضعها المتردي. يقول احدهم:

"الحقيقة أنني شعرت بأن هذا استغلال لوضع السوريين، ورأيت أنه من غير اللائق بنا كشعب عربي أصيل أن نستغل حاجة المحتاج.. يجب علينا أن نكرمهم ونكرم نساءهم بسد حاجاتهم من الغذاء والدواء والملبس والمشرب، ثم ننتظر حتى يفرج الله كربتهم ويعودوا إلى ديارهم معززين مكرمين.. ثم نذهب إليهم في ديارهم لنخطب بناتهم منهم، كما يحدث عادة".

تقرير من عبير صراص - إذاعة هولندا العالمية

الحرس الثوري يرسل مئات الضباط والجنود لدعم الأسد

"وول ستريت جورنال": عناصر بالحرس تتحدث عن نشاط إيران العسكري في سوريا

ذكرت صحيفة "وول ستريت جورنال" أن إيران أرسلت قادة من النخبة الإيرانية والحرس الثوري والمئات من جنود المشاة إلى سوريا لدعم الرئيس بشار الأسد في صد المعارضة المسلحة.

ونقلت الصحيفة عن العميد سالار ابنوش القائد في الحرس الثوري الإيراني أن إيران قامت بتدريب أعضاء الأجهزة الأمنية السورية في مجال الأمن والتجسس على المعارضين، وأن قرار إرسال أفراد الحرس الثوري الإيراني يأتي بعد هجمات الثوار على حلب ودمشق والانفجار الذي أودى بحياة 4 من كبار القادة السوريين في يوليو / تموز الماضي.

وأشارت الصحيفة نقلاً عن مصادر سابقة وحالية في الحرس الثوري إلى أن النظام الإيراني يدعم النظام السوري بالمال والسلاح في الأزمة المستعصية التي رافقت نجاحات واسعة للمعارضة.

وخلافاً لتصريحات قادة طهران بشأن عدم التدخل في الشأن السوري، ذكرت الصحيفة أن عدداً من قادة الحرس الثوري تحدثوا بشكل واضح عن تعاون هذا البلد مع نظام الرئيس السوري لمجابهة المعارضة.

ونقلت تصريحات العميد أبنوش قائد الحرس الثوري في محافظة قزوين خلال مراسم حكومية حول نشاط الحرس الثوري في سوريا حيث قال: "إننا نخوض الحرب حالياً بكل أبعادها العسكرية في سوريا ما نخوض حرباً ثقافية".

وكانت المعارضة السورية والولايات المتحدة قد أعلنتا أن إيران تدعم الأجهزة الأمنية السورية من خلال القرصنة الإلكترونية والتجسس. وذكرت مصادر الصحيفة الأمريكية أن إيران اتخذت قرار إرسال القوات إلى سوريا بعد النجاح الذي حققه المعارضون في دمشق وحلب ومقتل أربعة من كبار القادة الأمنيين في تفجير مجلس الأمن الوطني.

التناقضات في السياسة الخارجية

وأظهرت الأزمة السورية التناقضات في السياسة الخارجية لإيران التي تقول إن ثورات الربيع العربي في تونس ومصر وليبيا تستمد من ثورتها التي انتصرت في عام 1979 لكنها غضت الطرف عن التطورات السورية ولم تدعم المتظاهرين ضد نظام الأسد وتبنت الرواية الرسمية التي تركز على محاربة الإرهابيين والمؤامرة الخارجية. وقال محسن سازكارا، وهو من مؤسسي الحرس الثوري والمعارض للنظام الإيراني حاليا: "تسعى إيران من خلال تسخير جميع إمكانياتها في العراق ولبنان للحيلولة دون سقوط الأسد".

وأوضح وزير الدفاع الإيراني مؤخرا أن "إيران ستقوم بتنفيذ الاتفاقية الأمنية الموقعة مع سوريا إذا فشلت الأخيرة في حل المشاكل القائمة". وأوضح أحمد وحيدي في تصريحات صحافية الأسبوع الماضي: "سوريا لم تطلب منا لحد الآن المساعدة لتسوية القضايا وهي تعمل بشكل جيد لتسوية الأمور".

موسيقي كردي يغني بالعربية من أجل الثورة السورية

كتب كلماتها ولحّنها إثر مقتل صديقه المخرج السينمائي باسل شحادة

دفع مقتل المخرج السينمائي باسل شحادة الذي ترك دراسته للسينما ليلتحق بالثوار في حمص، صديقه الموسيقي السوري الكردي إلى الغناء لأول مرة باللغة العربية، ونشرها على موقع "اليوتيوب".

"قصة وطن وشوية ضمير" هذا هو عنوان الأغنية التي غنّاها الموسيقي السوري الكردي صلاح عمو، حيث كتبها ولحّنها إثر مقتل صديقه المخرج السينمائي باسل شحادة، الذي ترك دراسته للسينما ليلتحق بالثوار في حمص عاصمة الثورة السورية.

وتقول كلمات الأغنية: "القصة صار لها كتير، ما عاد بدها صفنة تأمل، وكتير تفكير، القصة قصة وطن تعب كتير، وصار بدها شوية ضمير، شو رح تقول لباسل، لغياث، ولمشعل، وكيف رح تتطلع بعين طفل، وتنسى كيف حمزة انقتل"، في إشارات إلى قتلى سقطوا في الأشهر الأخيرة في سوريا وتحولوا إلى رمز للحركة الاحتجاجية من باسل شحادة وغياث مطر ومشعل تمو والطفل حمزة الخطيب.

وقال عمو لوكالة "فرانس برس": "ما دفعني لكتابة الأغنية هو إحساسي بالقهر والظلم وصمت العالم وعجزه عن فعل شيء لهذا الشعب الذي يسفك دمه كل يوم والعالم يتفرج وينقل الخبر، وكأننا شعب في متحف للقتل".

وأضاف "كتبت الأغنية ولحنتها في الليلة التي استشهد فيها المخرج باسل شحادة، كنت أحس بقهر كبير يومها، وأن منسوب الإنسانية عند البشر وصل إلى أدنى مستوى له، وأن العالم فقد ضميره".

ووصف عمو الأغنية وأسلوبها بالقول: "أسلوب اللحن وطريقة أدائه بسيط وعفوي، وهو عموما الأسلوب الذي أبني عليه كل أعمالي. اللحن مبنيّ على مقام الكرد، وهو مقام فيه اغتراب وحسرة".

وحول أسباب غنائه باللغة العربية قال إن أغلب أغانيه باللغة الكردية كونها لغته الأم ولكن هذه هي المرة الأولى التي يغني بها باللغة العربية رغم النقد الذي تعرض له خاصة من أصدقائه، إلا أنه أكد أنه لا يميز بين أغنية يؤلفها بناءً على اللغة، فما يهمه هو صدق المشاعر والطاقة الإنسانية فيها.

وأضاف "سمعت ردوداً ممتازة من الأصدقاء والموسيقيين عن الأغنية، وهذا ما يهمني"، مشيراً إلى أن الأغنية هي ليست أغنية تعبوية وثورية بالمعنى الدقيق، بل هي أغنية عن وطن وثورة وشهداء أبطال من جهة، وعن عالم وبشر منافقين فقدوا ضميرهم ووضعوا إنسانيتهم على الرفّ، وهو مشغولون بنفاقهم الإعلامي وبيعنا

مشاعر لا تترجم إلى أعمال".

وعن ظروف إنتاج الأغنية التي وجدت طريقها عبر "اليوتيوب" وفيها يظهر المغني وحيدا يعزف على آلة البزق قال: "ربما من الضروري الإشارة إلى أنه تم تسجيل الأغنية بكنيسة وبجهاز موبايل". وأضاف "يبدو أيضاً أنه ما لنا غير بيوت الله أيضا، فمن الجوامع تخرج التظاهرات، وفي الكنائس نؤرشف ونغني للثورة".

وقال عمو: "نحن الآن كفنانين مطالبون أكثر من أي وقت آخر أن نكون أدوات تقارب بين الثقافات المختلفة في سوريا، وصياغة هوية سورية متجددة مبنية على التنوع والتفهم وتقبل الآخر".

والفنان عمو يتحدر من قرية الدرباسية (شمال شرق سوريا) وهو مؤسس لمشروع فرقة "جسور" الذي بدأه عام 2007.

يعاني الكثير منهم الاعتقال والتضييق: فنانون سوريون لم يقفوا على الحياد

لم يقف الفنانون السوريون جانبا إزاء ما يحدث في بلادهم، وكثير منهم اليوم يعاني الاعتقال أو التضييق والتهديد أو حملات التشهير، عدا عن أولئك الذين اضطروا إلى "النزوح" عن بلدهم خوفا من الاعتقال وبطش السلطات.

آخر هذه الاعتقالات كان للفنان محمد عمر أوسو، الممثل والكاتب التلفزيوني، الذي تعرض للاعتقال عددا من المرات، وهو الذي ظهر مشاركا في مظاهرات معارضة للنظام، كما تظهر فيديوهات على موقع يوتيوب.

ويأتي ذلك بعد أيام على اعتقال الممثل والمنتج السينمائي عروة نيربية، وهو مدير ومؤسس مهرجان السينما التسجيلية "دوكس بوكس" في سوريا.

وتعود مشاركة الفنانين السوريين في الاحتجاجات إلى الأشهر الأولى من انطلاقها. وتمثلت المشاركة الأولى الواضحة في إصدار بيان إنساني لم يتطرق إلى السياسة، وطالب بإيصال المساعدات الإنسانية من غذاء ودواء وحليب لأطفال درعا المحاصرة، فسمي البيان بـ"بيان الحليب".

ووقع على البيان عدد كبير من الفنانين من بينهم منى واصف ويارا صبري وريما فليحان. وهوجم بقوة من إعلام النظام ومناصريه، وسرعان ما ظهر عدد من هؤلاء الفنانين في القنوات الرسمية في ما بدا أنه تراجع عن مطالبهم، وفهم الجميع آنذاك أن الفنانين السوريين تحت الضغط. واليوم، أصبحت الفنانات الثلاث المشار إليهن جميعهن خارج البلاد. ولعل العلامة الأبرز لمشاركة الفنانين كانت في المظاهرة التي أطلق عليها "مظاهرة المثقفين" في الأشهر الأولى للاحتجاجات، والتي اختارت لخروجها مكانا رمزيا، أحد جوامع حي الميدان.

اعتقالات واعتداءات

تنوعت طوائف ومذاهب هؤلاء الفنانين حينذاك، لكنهم اتفقوا على الخروج من مسجد. وواجهوا المصير نفسه، السجن. ومن أبرز من شارك حينذاك الممثلة مي سكاف والمخرج السينمائي نضال حسن، والممثلان محمد وأحمد ملص. وجرى توقيف هؤلاء مع مساجين جنائيين في فرع الأمن الجنائي، وحين خرجوا من المحكمة ليحاكموا طلقاء كان "الشبيحة" على موعد معهم.

وفي حي الميدان أيضا اعتقل المخرج المسرحي والأكاديمي أسامة غنم إثر مشاركته في إحدى المظاهرات، ولم يمنعه موقعه الأكاديمي من التعرض للضرب والإهانة. ورغم ذلك برزت أسماء لفنانين شاركوا بوضوح في المظاهرات من بينهم الممثل فارس الحلو الذي وجد نفسه في ما بعد مضطرا لمغادرة البلاد، والممثل محمد آل رشي -وهو نجل الممثل المخضرم عبد الرحمن آل رشي- الذي جرى اعتقاله في إحدى المظاهرات.

وجرى الاعتداء على الممثل جلال الطويل، وخطف في ما بعد ليظهر على شاشة الإعلام الرسمي متراجعا عن كثير من مواقفه، وهو ما ترجعة أوساط الفنانين المعارضين إلى الضغط الذي مورس عليه.

أسماء فنية كثيرة غادرت البلاد، لا يعرف بالضبط ما إذا كانت تعرضت بالفعل إلى تهديدات، أم إنها اتخذت موقفا مناوئا للنظام أدركت أنه سيعرضها للتضييق والتهديد فغادرت البلاد من تلقاء نفسها. ومن بين تلك الأسماء المخرج والمنتج التلفزيوني والسينمائي المعروف هيثم حقي. وكذلك تعرض المنتج السينمائي شادي أبو فخر أكثر من مرة للاعتقال قبل أن يغادر البلاد.

أما المخرج السينمائي البارز أسامة محمد، مخرج فيلم "نجوم النهار"، الفيلم الممنوع من العرض لأكثر من ثلاثين عاما، وفيلم "صندوق الدنيا"، فقد كان من أبرز الواقفين في صف الاحتجاجات، ومن بين موقعي، ومطلقي "نداء السينمائيين" الذي نادى سينمائيي العالم للوقوف إلى جانب الشعب السوري. أسامة محمد اليوم موجود في باريس منذ ذلك النداء، وهو لم ينج من التخوين وحملات الشتم.

ويقول أسامة محمد "بعد نداء السينمائيين والمشاركة في مهرجان كان في ندوة مع كوستا غافراس عن السينما في ظل الدكتاتورية قدمت فيها نص "صورة ضد صورة" عن جريمة النظام الأمني السوري وقتل المتظاهرين، وجريمة الإعلام الرسمي في إنكار الجريمة واتهام القتيل بها، تلقيت من سوريا تهديدات غير موثقة، من المتعذر تأكيدها أو نفيها، إلى جانب تهديدات أخرى عديدة مؤكدة، على صفحات الموالين الأمنيين على فيسبوك تتراوح بين تهمة الخيانة وهدر الدم".

لكن الوجه الفني الأبرز من بين الفنانين في قيادة المظاهرات كان الممثلة فدوى سليمان، التي تعرضت إلى حملات تشهير إثر مشاركتها في مظاهرات مدينة حمص تحديدا جنبا إلى جنب مع حارس المرمى المعروف عبد الباسط ساروت. واستطاعت أن تنجو بأعجوبة فيما الحصار يشتد على مدينة حمص، لتتمكن من مغادرة البلاد.

الفنانة ريما فليحان تبنت موقفا مساندا للثورة منذ بداياتها.

دور الفنان

وتقول فدوى سليمان لوكالة فرانس برس ردا على سؤال عن مشاركة الفنانين السوريين "هناك الكثير من الفنانين السوريين الذين شاركوا في الثورة السورية، لكن بقيت مشاركتهم محدودة".

وتضيف "كنا في بداية الثورة نأمل منهم موقفا أوضح ومشاركة أكبر، لكن الفنانين المعروفين تخلوا عن دورهم في إرشاد جمهورهم الذي أحبهم إلى السبيل الصحيح للوصول إلى حريتهم، لا بل واعتبروهم رعاعا وإرهابيين". وتدعو فدوى سليمان كل فنان اليوم "وفي كل أنحاء العالم أن يعود إلى دوره الحقيقي والإنساني في وجه كل الأنظمة القمعية والقاتلة".

وتضيف "على الفنان السوري اليوم ألا يخاف من أي حزب أو معسكر أو نظام، وعليه ألا يحسب حسابا إلا للإنسانية وللحق والعدالة. على الفنان ألا يخضع للتسييس ليعجب هذا الفريق أو ذاك، فالحرية والعدالة والمساواة لا تنتمي لجهات ولا لأحزاب".

ويقول الكاتب التلفزيوني تمام هنيدي الذي تعرض أيضا للاعتقال "على الفنان السوري أن يحفظ جيدا جملة مارتن لوثر كينغ الخالدة: المكان الأكثر اتساعا في جهنم محجوز لأولئك الذين يقفون على الحياد في المعارك الأخلاقية الكبرى".

الانشقاقات عن النظام السوري

موقف أخلاقي يسجله التاريخ

■ ياسر مرزوق

تعود بنا الذاكرة اليوم إلى مسرحية "ناطورة المفاتيح" والتي قدمها الثلاثي الرحباني الفيروزي في بعلبك ودمشق عام 1972، وفي هذه المسرحية يقرر الملك فرض ضرائب باهظة على المواطنين، ومن لم يتمكن من دفعها تجب عليه أعمال السخرة لسداد مستحقاته، فتقرر بطلة المسرحية زاد الخير"السيدة فيروز" الإذعان، وبعد أن تنهي أعمال السخرة تعود لمدينتها، لتجد الناس المثقلين بالأعباء قد تجمعوا بقيادة بربر "نصري شمس الدين" وقرروا الرحيل عن بيوتهم وعن المملكة. عندما رحلوا أخيراً قررت زاد الخير أن تبقى وحدها، وترك الأهالي معها مفاتيح بيوتهم، ومن هنا جاء عنوان المسرحية.

أصدر الملك قراراً بأن تزيّن الشوارع والساحات وأن يحضر جميع الناس بدون استثناء لاستقبال الملكة العائدة بعد غياب شهر عن المملكة في موطنها الأصلي. طبعاً لم يكن هناك أحد ليطيع الأمر. وصلت الملكة لتحظى باستقبال رسمي من قبل الحراس الملكيين فقط. فوبّخت الملك لهذا الاستقبال الهزيل الذي نظم على شرفها، ولعدم كفاءة سلطانه.

وجد الملك نفسه برعيّة واحدة يحكمها، هي زاد الخير، التي أوضحت له أنه بدونها لن يبقى من يحكمه، فهو لن يستطيع حبسها أو قتلها، وأنه إذا جرّب أن يمارس خداعه عليها ستهاجر هي الأخرى. انقلبت الأدوار، وأصبح القرار بيد زاد الخير. أمر الملك بإطلاق سراح جميع المساجين ليصبح لديه مواطنين يحكمهم، لكنهم أيضاً فروا بعيداً، تاركين الملك لزاد الخير. أدرك الملك أن المملكة بدون الناس الذين هربوا من طغيانه لا معنى لها، خاصة وأن زاد الخير هددت بالرحيل وتركه بدون رعية. فنزل عن عرشه ليقرع أبواب البيوت المهجورة، ويصرخ متوسلاً لهم أن يعودوا. تنتهي المسرحية بعودة الناس إلى بيوتهم، وإلى حكم أكثر عدلاً.

في ملفنا اليوم نسلط الضوء على ظاهرة الانشقاق عن النظام السوري، على النسخة الجديدة لرائعة الرحابنة / بأبطال وشخوص جديدة. ولعل التاريخ الذي يبقى حاضراً في ملفنا الأسبوعي يعج بالملوك ونواطير المفاتيح. ألم يطرد "كاليجولا" من قصره ومملكته وفد الإسكندرية الذي أتى إليه لمناقشة شؤون الإمبراطورية، وحين بدا للمتحاورين أن الأمر الوحيد ذا الأهمية هو عبادة الإمبراطور فإن رؤساء الوفد قد سروا حينما طردهم الإمبراطور وهو يتظاهر بالشفقة الممزوجة بالاحتقار فهؤلاء الناس برأيه هم من الذين لم يدركوا بعد أنه إله.

و الانشقاق، لغةً، مصدر مأخوذ من الماضي الثلاثي المضعف الآخر "شقّ". ويستطرد المنجد في الحديث عن الفعل شق ومشتقاته. لكن خلاصة الكلام تفيد بأن الشّق- بكسر الشين المشددة- تعني النصف أو الجزء.

قال طرفة بن العبد في معلقته يصف ناقة محبوبته كأنها القارب الذي يشق الماء خلال سيرها:

عدولية أو من سفين بن يامن
يجور بها الملاح طوراً ويهتدي
يشق دَباب الماء حيزومها بها
كما قسم التربَ المفاولُ باليدِ

أما عنترة فيصف لقاءه مع غريمه فيقول "شككت" بدل شققت، وهما تحملان المعنى نفسه:

فشككت بالرمح الأصم فؤاده
ليس الكريم على القنا بمحرّم

في القرآن الكريم سميت السورة الرابعة والثمانين من القرآن الكريم بسورة "الانشقاق". وتبدأ بالآية الكريمة: (إذا السماء انشقت* وأذنت لبرها وحُقت*) وإذا الأرض مُدّت* وألقت ما فيها وتخلت*). وهي تفيد هنا التذكير بهول ما يحدث يوم القيامة من انشقاق الأرض وبروز الموتى. كما روي في الحديث الشريف عن عدي بن حاتم أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم قال في الحض على الصدقات: "اتقوا النار ولو بشق تمرة". من هنا ندرك أن كلمة الانشقاق بكل ما تحمله من المعاني، في مجملها، تعني الانفصال. وانشقاق الجنود عن الجيش يعني انفصالهم عنه، سواء التحقوا بغيره أم لم يلتحقوا، لأن ذلك يعني الانفصال. وكذلك انشقاقات الأحزاب السياسية إنما هي انفصال أجنحة منها وتكوين أحزاب جديدة مستقلة بأسماء جديدة.

وإذا ما عدنا إلى الملفات الأولى من "سوريتنا" والتي كان فيها استعراض للتيارات والأحزاب السورية، بدا لنا واضحاً أن سوريا قد تكون من أكثر الدول التي شهدت الانشقاقات الحزبية السياسية. والتي لم تترك أثراً على المشهد السياسي السوري وذلك لغياب السياسة في المبدأ.

مع بدايات العام الحالي تصاعدت وتيرة الانشقاقات عن النظام في سوريا والتي لن يكون آخرها انشقاق رئيس الوزراء والذي أتى بحسب البيت الأبيض كإشارة إلى فقدان الرئيس السوري زمام السلطة، إذ صرح المتحدث باسم البيت الأبيض "جاي كارني" بأن هذا الانشقاق دليل على أن قبضة الأسد على السلطة تتفكك. فيما يقول أندرو تابلر، من معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى أن انشقاق حجاب "ذو مغزى سياسي"، لأنه يظهر أن "هناك تآكل سياسي في الحكومة". فيما قلل محللون من جدوى الانشقاقات على نظام الأسد، حيث قال "بيتر هارلنج" الباحث في مجموعة الأزمات الدولية وهي مؤسسة بحثية "تحدث الانشقاقات في جميع مكونات النظام ماعدا الدائرة الداخلية المقربة التي لم تظهر عليها بعد مؤشرات للانشقاق".

وتوالي الانشقاقات قد لا يعطي مؤشرات على تفكك النظام شديد الغموض من الداخل، فحتى اليوم تبدو إدارة الحكم في سوريا ضبابية، من العسير التعرف على صانعي القرار فيها. وعلى افتراض انقسام من يملك الحل والعقد في النظام السوري إلى صقور وحمائم، يبدو عسيراً أيضاً بيانهم ومعرفة توجهاتهم، مع أنه وبحسب التقارير الإعلامية فإن بنية النظام الداخلية تضم نحو 14 شخصاً، من شقيق الرئيس وشقيقته إلى رؤساء الأجهزة الأمنية المختلفة، والقادة العسكريين وغيرهم، وهؤلاء ذاتهم من ألقت الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي اللوم عليهم في تنفيذ الهجمات على الشعب السوري. هذا بالإضافة إلى أن أنظمة الحكم الشمولي تجرد أصحاب المناصب من أي شعبية أو ثقل على الأرض، كونهم وحتى المنتخبون منهم يأتون إلى المنصب بتعيين من رأس النظام أو رؤوس الأجهزة الأمنية، وذلك على عكس الأنظمة الديمقراطية التي يختار الشعب فيها ممثليه وصانعي القرار في بلده، إلا أنها دليل واضح على إنهاك النظام وتراخي قبضته الأمنية إلى حدٍ بعيد.

ولنا أن نستعرض أهم الشخصيات المنشقة عن النظام وفق التسلسل التاريخي:

- في نيسان 2011 أعلن نائبان مستقلان في البرلمان السوري استقالتيهما احتجاجاً على أعمال العنف ضد المدنيين.

- كانون الثاني 2012 استقالة النائب عماد غليون عضو لجنة الموازنة في مجلس الشعب السوري ولجوئه إلى مصر.

- في الثامن من آذار 2012 أعلن مساعد وزير النفط عبدو حسام الدين انشقاقه احتجاجاً على وحشية النظام ليكون أول مسؤول حكومي ينضم إلى صفوف المعارضة بعد عام على بدء الحركة الاحتجاجية في آذار 2011.

- في بداية تموز 2012 غادر العميد مناف طلاس الضابط الرفيع في الجيش السوري والقريب من عائلة الأسد، سورية

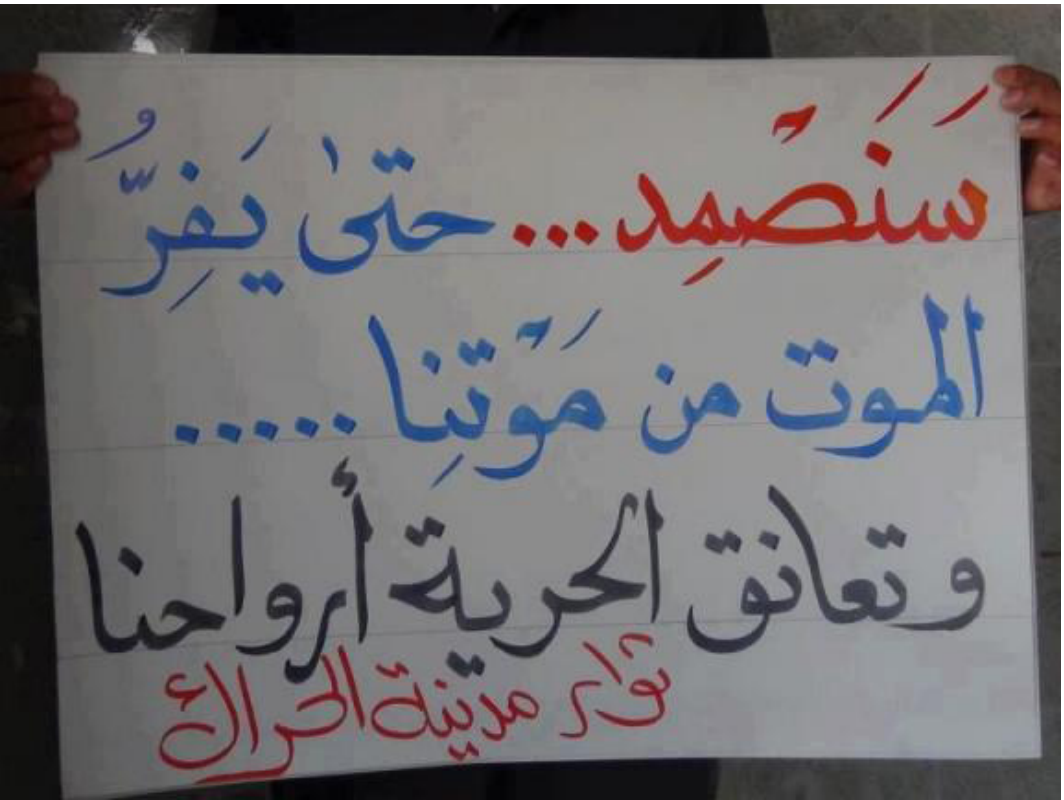

ثم أعلن انشقاقه بعد ذلك. ومناف هو نجل اللواء مصطفى طلاس وزير الدفاع السابق والصديق الشخصي للرئيس الراحل حافظ الأسد. وأعلن في 17 تموز أنه موجود في باريس.

- في 11 تموز، كان السفير السوري في بغداد نواف فارس أول دبلوماسي يعلن انشقاقه قبل أن يلجأ إلى قطر ويدعو الجيش إلى الانضمام فوراً إلى صفوف الثوار.

- في 24 تموز، أعلنت القائمة بالأعمال السورية في قبرص لمياء الحريري وزوجها السفير السوري لدى الإمارات العربية المتحدة عبد اللطيف الدباغ انشقاقهما.

- في 25 تموز، انشقاق الملحق الأمني في السفارة السورية في سلطنة عمان محمد تحسين الفقير. كذلك، قدم ثلاثة أعضاء في مجلس الشعب السوري استقالاتهم تنديداً بالقمع الذي يمارسه النظام.

- في 26 تموز أعلنت النائبة عن مدينة حلب إخلاص بدوي انشقاقها ولجأت مع أولادها الستة إلى تركيا. وكان ذلك أول انشقاق داخل مجلس الشعب (البرلمان) الجديد المنبثق عن الانتخابات التشريعية الأخيرة.

-وفي 30 من تموز استقال القائم بالأعمال السوري في لندن خالد الأيوبي، تبعه غداة ذلك قنصل سوريا لدى أرمينيا محمد حسام حافظ.

- في 5 آب الجاري انشقاق العقيد الركن يعرب الشرع الذي وصل إلى الأردن، وأعلن انشقاقه رسمياً، برفقة عدد من كبار ضباط النظام المنشقين، عرف منهم شقيقه الملازم أول كنان الشرع، والعقيد ياسر الحاج علي والمقدم توفيق الحاج علي.

- أما الانشقاق الرسمي الأبرز عن النظام فكان انشقاق رئيس الحكومة السورية، وهو الذي وصف بأنه "رئيس الحكومة البعثي في زمن الإصلاحات"، وقد أتى انشقاقه بعد شهرين فقط من تكليفه، بعدما تولى منذ بداية الثورة - إلى جانب منصبه محافظاً للاذقية – لجنة أمنية مهمتها إدارة عمليات القمع ضد المظاهرات السلمية، وفق ما يؤكده ناشطون سوريون. وبحسب المادة الثامنة والعشرون بعد المئة من الدستور السوري، يمارس رئيس الوزراء بالاشتراك مع وزرائه الاختصاصات الآتية:

1 - وضع الخطط التنفيذية للسياسة العامة للدولة.

2 - توجيه أعمال الوزارات والجهات العامة الأخرى.

3 - وضع مشروع الموازنة العامة للدولة.

4 - إعداد مشروعات القوانين.

5 - إعداد خطط التنمية وتطوير الإنتاج واستثمار الثروات الوطنية وكل ما من شأنه دعم وتطوير الاقتصاد وزيادة الدخل الوطني.

6 - عقد القروض ومنحها وفقاً لأحكام الدستور.

7 - عقد الاتفاقيات والمعاهدات وفقاً لأحكام الدستور.

8 - متابعة تنفيذ القوانين والمحافظة على مصالح الدولة وأمنها وحماية حريات وحقوق المواطنين.

9 - إصدار القرارات الإدارية وفقاً للقوانين والأنظمة ومراقبة تنفيذها.

أما على صعيد الانشقاقات العسكرية، فبعد انشقاق المقدم "حسين الهرموش" ثم العقيد "رياض الأسعد" الذي أعلن في نهاية شهر حزيران عام 2011 تأسيس "الجيش السوري الحر" ليبدأ معارضة مسلحة ضد النظام. أنشق عشرات الضباط عن الجيش النظامي معظمهم لجأ إلى تركيا. ومن أبرز الانشقاقات ما قام به العقيد الطيار السوري حسن مرعي الحماده الذي هبط بطائرته من طراز "ميغ" في الأراضي الأردنية في 22 حزيران. ويقول المرصد السوري لحقوق الإنسان إن «عشرات آلاف» الجنود فروا من الجيش النظامي منذ آذار 2011 من دون أن ينضموا بالضرورة إلى صفوف المعارضة المسلحة.

والانشقاق عموماً يكون باتجاه تركيا أو الأردن نظراً إلى القرب الجغرافي من سوريا في ظل استحالة دخول إلى لبنان حيث سيطرة حزب الله.

الانشقاق وامتحان المعارضة

إضافةً إلى تصاعد الحديث عن أعضاء بارزين في الدائرة المحيطة بالرئيس السوري بشار الأسد يعدون خططاً سرية للانشقاق على النظام والانضمام للمعارضة. وعن مسؤولين عسكريين سوريين وضعوا بالفعل إستراتيجية خروج من البلاد وأقاموا خطوط اتصال مع الثوار لمناقشة كيفية استقبالهم إذا قرروا التخلي عن النظام. بحسب الناطق باسم القيادة المشتركة للجيش الحر في الداخل قاسم سعد الدين الذي صرح بأنهم تلقوا اتصالات عديدة من ضباط كبار ومسؤولين "يرغبون بالانشقاق ويطلبون المساعدة"، وأنهم يعملون على تأمين ذلك. وهنا توضع المعارضة السورية أمام امتحانٍ قانوني وأخلاقي خطير. فماذا لو انشق عن النظام أحد من تلوثت أيديهم بدماء السوريين، لاسيما أن ما يتداول عن تهريب جزء كبير منهم لأمواله إلى المصارف اللبنانية بأسماء وهمية وبمساعدة الحزب اللبناني المقاوم الذي يحفل تاريخه بعمليات تبييض الأموال، يعد مؤشراً على نية البعض بالانشقاق أو الهرب بالحد الأدنى.

كيفية تعامل المعارضة مع انشقاقات من هذا النوع هو العنوان العريض لسورياً المقبلة، وهو الفيصل في سلوك المعارضة وأهدافها، ليتضح إذا ما كان إسقاط النظام فقط هو الهدف، أم بناء دولة مدنية عبر آليات قانونية، عمادها العدالة الانتقالية ومحاسبة المجرمين.

أما عن موقف المعارضة من انشقاق أي شخصية لم تتلطخ يدها بدماء السوريين فهو أمرٌ محسوم لدى مختلف أطيافها، إذ صدر عن المجلس الوطني ما نصه "أن سرعة الانشقاقات التي تصيب مفاصل النظام السوري السياسية والعسكرية هي دليل على سرعة تفككه وقرب انهياره، وإن أي محاولات يقوم بها حلفاء النظام لإسناده وإبقائه على قيد الحياة إنما هي محاولات فاشلة لن يكتب لها النجاح، وسيخيب مسعى هؤلاء، وستنتصر إرادة الشعب السوري في الحرية والكرامة، وعلى المجتمع الدولي أن يدرك أن مرحلة بشار الأسد قد انتهت وأن سوريا مقبلة على مرحلة جديدة سيكون عنوانها البناء والتنمية والاستقرار والحرية".

تراهن المعارضة السورية في إستراتيجيتها لإسقاط النظام على توسيع حركة الانشقاقات- العسكرية والسياسية- وعلى حرب استنزاف مفتوحة على الأرض، وذلك بعد وصول المساعي الدبلوماسية الدولية إلى طريق مسدود على صعيد حل الأزمة في البلاد.

يقول رياض قهوجي، مدير مركز "اينغما" للدراسات العسكرية، إن "إستراتيجية الجيش السوري الحر تقوم حالياً على استنزاف الخصم بحرمانه من قياداته عبر تشجيعهم على الانشقاق ومن قوته القتالية بحرب العصابات والكمائن وتدمير الآليات".

تعامل النظام مع ظاهرة الانشقاق

يتعامل النظام مع ظاهرة الانشقاق بسذاجة واضحة: إعلامية وسياسية. أما الإعلامية، فما إن يتم الإعلان عن انشقاق أي شخصية مدنية عن النظام، حتى يمطرنا الإعلام السوري بوابل من تصريحات المحللين، عنوانها الرئيسُ التقليل من شأن الشخصية المنشقة، بل يتعداها الأمر إلى التشويه والإساءة لسمعة ونمم المنشقين، متناسين فيما يبدو لبديهية واضحة لماذا اختارهم النظام لهذه المناصب وهم يملكون ملفات مالية وأخلاقية مشبوهة بزعمهم. أما الانشقاقات العسكرية فينكرها الإعلام الرسمي جملةً وتفصيلاً ويدرجها في إطار الفبركة الإعلامية والحرب الكونية على سوريا.

وأما الفشل السياسي في التعامل مع الانشقاق، فيتمثل في بيانٍ خجول يصدر عن القيادة السياسية يقول بأنه تمت إقالة المنشق قبل يوم من هروبه.

في النهاية لا بد من القول بأنه وفي غياب توافق دولي على رحيل النظام، وفي ظل مَعارك عسكرية على كل شبر من الأرض السورية، لن تسقط الانشقاقات وحدها النظام، إلا أنها تضيف جهداً على الجهود المبذولة لتحقيق الهدف.

ويبقى الانشقاق كبر المنصب أم صغر موقفاً أخلاقياً يسجله التاريخ. وإذا كانت الألوان تبهت على مر الدهور، وتبلى الأوراق وتتساقط الصروح، وتصوّح الديار.. فإن السيرة الحسنة هي التي تبقى، تلهم الأجيال التالية، وتعلمهم وتدلهم على الطريق الصحيح، مؤكدة أن الصواب يبقى صواباً مدى الدهر، وأن الحق يظل حقا، مهما تغبر الأيام والسنون.

نختم اليوم مع الثائر "أحمد مطر" أيضاً في معايدةٍ وإن أتت متأخرة حالها حال العيد عند مطر من سوريتنا لهذا الشعب العظيم:

قال الراوي: للناس ثلاثة أعياد.. عيد الفطر.. وعيد الأضحى.. والثالث عيد الميلاد.. يأتي الفطر وراء الصوم.. ويأتي الأضحى بعد الرحم.. ولكنّ الميلاد سيأتي.. ساعة إعدام الجلاد.. قيل له: في أي بلاد؟.. قال الراوي.. من تونس حتى تطوان.. من صنعاء إلى عمّان.. من مكة حتى بغداد.. قُتل الراوي.. لكنّ الراوي يا موتى.. علمكم سر الميلاد..

سوريا.. شهران من التدخلات الجراحية

■ منظمة أطباء بلا حدود

تعمل منظمة أطباء بلا حدود في الميدان داخل سوريا منذ شهرين الآن، حيث تحاول توفير المساعدة الإنسانية للأشخاص المتأثرين بالنزاع المسلح. وبمساعدة مجموعة من الأطباء السوريين، استطاع فريق طبي في ظرف ستة أيام أن يُحوّل منزلاً مهجوراً إلى مستشفى طوارئ يتلقى فيه الجرحى عمليات جراحية ويمكنهم الاستشفاء فيه.

مع انتصاف شهر أغسطس / آب، استقبلت منظمة أطباء بلا حدود في هذا المرفق الصحي أكثر من 300 مريض، كما أجرت 150 عملية جراحية. وكانت معظم الإصابات لها صلة بالنزاع المسلح، سببها في الغالب قذائف الدبابات والقصف. وكان العديد من المرضى يعانون من جروح بسبب الأسلحة النارية، كما أن معظم المرضى كانوا من الرجال، بينما بلغت نسبة النساء امرأة واحدة من أصل كل عشرة مرضى. وكان واحد من كل خمسة مرضى دون سن العشرين. وحسب الطاقم الطبي، كان حوالي ثلثا التدخلات الطبية يُصنّف في إطار العمليات الجراحية الطارئة.

غير أن مستقبل هذا المشروع يبقى غير مؤكد. فبالإضافة إلى كون منظمة أطباء بلا حدود تعمل بدون ترخيص من السلطات السورية، تبقى أنشطتنا مهددة بالطبيعة المتغيرة للنزاع المسلح وصعوبة وصول الإمدادات والتحديات التي تعترض الجرحى الذين يحاولون الوصول إلى المستشفى.

وبالنظر إلى مستوى العنف المنتشر في سوريا اليوم، لا يستطيع فريق منظمة أطباء بلا حدود الطبي سوى توفير قدر محدود من الدعم الطبي، خصوصا وأن سلامة أفراد الطاقمين الدولي والمحلي مهددة. ولكن، تبقى المساعدة المقدمة في هذا المستشفى أساسية لإنقاذ حياة المرضى الذين نعالجهم هناك.

وسنعرض في هذا الملف لشهادات ثلاثة من زملائنا، آنا وكيلي وبراين، الذين يعتبرون أن المرضى وطبيعة الجروح التي يعالجها الفريق الجراحي هم أكبر دليل على استعمال المدفعية الثقيلة في هذا النزاع المسلح وعلى حرب عنيفة لا تفرق بين مسلح ومدني.

"بدأ الجرحى يتقاطرون علينا من كل مكان"

شاركت الأخصائية الجراحية آنا نُواك في أكثر من 20 بعثة لمنظمة أطباء بلا حدود. وقد عادت لتوها من سوريا، حيث ساعدت في إنشاء المشروع.

| كيف استطعتم إنجاز بعثة الطوارئ هذه بدون تصريح رسمي من السلطات السورية؟

| | بفضل الدعم الذي قدمته لنا مجموعة من الأطباء السوريين، استطعنا تحديد مكان صالح لإجراء العمليات. وبعد قيامنا بزيارة أولية قصيرة، استقر قرارنا على فيلا مهجورة. كانت هذه الأخيرة مكونة من طابقين وتضم ثمانية غرف، ولم تكن قد اكتمل بناؤها بعد، ولكن لم يكن لدينا خيار آخر. وعلى مدى ستة أيام، بذلنا جهداً عظيماً في تحويل المكان إلى مستشفى جراحي يشتمل على حوالي عشرة أسرّة استشفائية، وقاعة تعقيم، وقاعة عمليات، وقاعة إنعاش للطوارئ، وقاعة للتعافي. وبالإضافة إلى الصعوبات التي واجهناها في توظيف طاقم طبي محلي، كان علينا أن نحل مشاكل الإمدادات، بالنظر إلى خطورة استيراد أو شراء المعدات الطبية حالياً في سوريا.

| تحت أية ظروف بدأتم في إجراء العمليات على المرضى؟

| | وصل أوائل المرضى يوم 22 يونيو / حزيران، يوماً واحداً بعد افتتاح المستشفى. في البداية، كان معظم الجرحى الذين استقبلناهم أشخاصاً قد خضعوا بالفعل إلى عملية جراحية. وللأسف، كان علينا أن نعمل في ظروف متردية فيما يخص النظافة الصحية، وهو ما يعني في العادة خطراً أكبر للإصابة بالعدوى. ومع اندلاع نزاعات جديدة، بلغ المستشفى سريعاً حدود طاقته الاستيعابية. وبعد مرور أيام قليلة، كنا نستقبل ما يصل إلى ستة جرحى في الآن نفسه، وهو رقم متواضع نسبياً، ولكنه مرتفع بالنسبة إلينا بالنظر إلى مواردنا وقدراتنا المحدودة في تقديم العلاج. وما لبث الجرحى أن بدأوا يتقاطرون علينا من كل صوب؛ فكان علينا أن نبحث عن طرق بديلة لإيواء الناس، حتى وإن اضطررنا لوضع الأسرّة خارجاً في المصطبة. وأحياناً، كان المرضى لا يصلون إلينا خلال النهار بسبب القتال لأن الطرق تكون مقطوعة أو لأن المجيء إلى المستشفى يكون محفوفاً بالمخاطر، وأحياناً كانوا يصلون إلينا أواخر الليل أو عند الفجر. لقد كان الأمر غاية في الإرهاق، حتى وإن كنا نستطيع الاتكال على مساعدة أقارب المرضى. لقد كان مؤثراً حقاً أن نرى كل هذا الاستعداد الكامل والرغبة الصادقة في مساعدتنا.

| ما نوع الجروح التي عالجتموها؟

| | وقفنا على أشخاص جُرحوا بالرصاص أو قنابل الهاون أو القذائف. وكانت أغلب الجروح في الأطراف ومنطقة المعدة أو بين العنق والبطن. ورغم أن معظم المرضى كانوا من الرجال، إلا أننا كنا نستقبل كذلك النساء والأطفال، وكانت معظم هذه الحالات تصلنا متأخرة. وحالياً، هناك قتال دائر وقصف على بعد عشرة كيلومترات من مكان المستشفى. غير أن مرضانا أحياناً يأتون إلينا من مناطق بعيدة جداً، ما يؤدي إلى تدهور حالتهم الصحية وربما إلى الموت. كل هذا يجعل المرء يتساءل عن العقبات التي تمنع حصول الناس على رعاية جيدة في سوريا اليوم، بمن فيهم المرضى الذين يعانون من إصابات لا علاقة لها بالنزاع المسلح، مثل ضحايا حوادث السير.

| ما هي أهم الصعوبات التي تعترض مثل هذا المشروع؟

| | اتقاءً لأية مخاطر محتملة، يعمل طاقم المستشفى في سوريا بطريقة مستقلة وحذرة، بحيث تختفي العديد من المستشفيات الميدانية بنفس السرعة التي ظهرت بها. في هذا السياق، يُعتبر المرفق الصحي الذي أنشأناه مهماً جداً للجرحى الذين يبحثون عن المساعدة، ولكن في نفس الوقت يبقى هذا الوضع حرجاً للغاية. فالعقبات الأمنية تحدّ من مواردنا وقدراتها. فأي جرح تقليدي له صلة بالحرب يتطلب في المتوسط خمسة أيام من الاستشفاء. وباستثناء أكثر الحالات سوءاً، نجد أحياناً صعوبة في الاحتفاظ بالمرضى في المستشفى أطول من هذه المدة. وبإمكان المرضى الذين يعيشون بالقرب من المستشفى، أو يقيمون في الجوار عند عائلاتهم أو أصدقائهم، العودة إلينا من أجل متابعة حالتهم أو للحصول على ضمادات للجروح. ولكن، بالرغم من حس التضامن الكبير الذي عبّر عنه السكان هنا، بحيث يستطيع الكثير من المرضى البقاء في المنطقة مؤقتاً، فإن البعض منهم يغادر المستشفى ثم لا نسمع عنهم خبراً بعد ذلك.

"غير أن مرضانا أحياناً يأتون إلينا من مناطق بعيدة جداً، ما يؤدي إلى تدهور حالتهم الصحية وربما إلى الموت".

"بدأنا نحصل على نتائج جيدة"

براين مولر ممرض تخدير يعمل مع منظمة أطباء بلا حدود منذ تسعة أعوام،

عمل بعنوان: داريا، إعدام ميداني | محمد عمران

وهو اليوم منسق طوارئ. خلال شهر يوليو / تموز، أدار براين عملية إنشاء المستشفى الجراحي لمنظمة أطباء بلا حدود في سوريا.

| ما هو رأيك في ما يحدث في سوريا؟

| | نحن نعمل داخل أحد معاقل الثوار، وبالتالي فنحن لا نشاهد سوى جزء من المشهد الكلي للوضع القائم. ولكن، من ناحية أخرى، ما من شك في أننا أمام حالة حرب، لا تفرق بين مدني ومسلح. بل هناك من المدنيين من يستهدفهم القناصة، وآخرون ضحايا "الأضرار الجانبية"، كما يقولون. وبينما كانت فرق الجيش النظامي تواجه المتظاهرين في السابق، أصبحت اليوم تقاتل جماعات المعارضة المسلحة، وغالباً ما يحدث ذلك داخل المناطق الحضرية. وحسب ما استطعنا الاطلاع عليه، فإن هذه الجماعات متنوعة، تتشكل من أشخاص لديهم خلفيات اجتماعية مختلفة ومظالم متنوعة. والشيء الوحيد الذي يبدو أنه يوحدهم هو الغضب الذي يشعرون به تجاه النظام السوري.

| كمنظمة غير حكومية، ألا يخلق لنا العمل في جانب واحد فقط بعض التعقيدات؟

| | ليس لدينا خيار، بما أننا لا نملك ترخيصاً رسمياً للعمل في البلاد. ثم إن عملنا يقتصر على تقديم المساعدة لمن لا يستطيعون الوصول إلى خدمات الرعاية الصحية. فبينما يستطيع أنصار النظام الولوج إلى المستشفيات العمومية، يبقى العديد من الثوار ومؤيديهم محرومين من هذه الخدمات. كما أننا نشرح للناس بأن مسببات هذا العنف لا أهمية لها بالنسبة لنا مقارنة بعواقبها الطبية على الناس. ورغم أننا نعمل في مناطق يُسيطر عليها الثوار، فإننا نُصر على كوننا لا نميز بين هذا أو ذاك فيما يخص تقديم خدمات الرعاية. وعلى ما يبدو، يحظى موقفنا نسبياً بتفهم العاملين في القطاع الصحي والسوريين الذين نلتقي بهم. ولكنه يبقى عكس ذلك حين يتعلق الأمر بمشاعر الناس؛ فمنذ بداية الثورة السورية، فقد العديد من الناس أشخاصاً مقربين منهم أو شهدوا تعرضهم للإصابة.

| كيف يتفاعل العاملون في القطاع الصحي السوريون مع هذا الوضع؟

| | بالنظر إلى الأوضاع الراهنة، لا يسعنا سوى الثناء على رغبتهم واستعدادهم الكبيرين في مساعدة بعضهم البعض. ولكنهم تعوزهم التجربة أو الاستعداد المهني للتعامل مع هذا الكم الهائل من المرضى، أو معالجة هذا النوع من الجروح. لذلك، تعزز خبرة فريقنا في هذا المجال قدرات أفراد الطاقم المحلي الذين يشاهدون هذا النوع من العنف لأول مرة. ولكننا نتعامل مع الوضع، بل ونحصل على نتائج جيدة بالرغم من الصعوبات والمشاكل الأخلاقية التي تظهر. فمثلاً، ما هي الأولويات؟ متى نستطيع القول بأنه لم يعد هناك ما يمكن فعله لمريض ما؟ متى يتوقف المرء عن تقديم الرعاية الطبية غير المجدية؟ هناك العديد من الأسئلة التي تخلق التوتر والمشاحنات بين أفراد الطاقم الذي يواجه متطلبات العقلانية في وضع مشحون.

| كيف هي الخدمات الصحية والطبية في المنطقة التي تعملون فيها؟

| | هناك مصحات وصيدليات وأماكن للاستشارات الطبية، ولكن لا توجد هناك مرافق قادرة على إجراء العمليات الجراحية والاستشفاء في هذه المنطقة. وبعيداً عن المنطقة قليلاً، هناك مستشفيات قادرة على إجراء عمليات جراحية، ولكنها تحيل المرضى إلينا حتى يتمكن هؤلاء من الاستشفاء بعد انتهاء العملية الجراحية.

وهناك مشكلة أخرى تتمثل في الحصول على الإمدادات الطبية والأدوية. فهناك خصاص في الدم والمسكنات ومواد التخدير، وفي كل شيء آخر. وإلى جانب غياب الماء والكهرباء وشبكات الاتصال، تبقى مشاكل الإتاحة والنقل والتموين الأكثر حدة، وإن كانت كلها مشاكل رديفة بالنزاعات المسلحة في كل مكان. ومن جانبنا، فقد نجح المشروع بفضل مجموعة من الأطباء السوريين وجهود مسؤولي العمليات اللوجستية لدينا في المحافظة على مخزون احتياطي يسمح لنا بمواصلة العمل لمدة أسبوعين في حال وقوع أية مشكلة كبيرة. كما نتلقى تبرعات خاصة، تنم عن حس كبير للتضامن لدى الأهالي في هذه المنطقة. ومنذ أيام قليلة، جاءت بعض النسوة من القرية ومعهن كيسان كبيران مليئان بالمؤن الطبية والضمادات والأدوية التي تم شراؤها من الصيدليات المحلية. ويبقى من الصعب تحديد مصدر هذه المنتجات؛ فمثلاً، إذا لم تكن تعرف منشأ مواد التخدير، هل تستطيع استخدامها؟ ولكن المشكلة في زمن الحرب هي أنك لا يكون لديك دائماً فرصة للاختيار.

"تعزز خبرة فريقنا في هذا المجال قدرات أفراد الطاقم المحليالذين يشاهدون هذا النوع من العنف لأول مرة".

"كان البعض يصل إلينا بعد فوات الأوان"

كيلي ديلورث هي أخصائية تخدير تعمل مع منظمة أطباء بلا حدود منذ تسعة أعوام، عادت بعد قضاء شهر في بعثة سوريا. تصف فيما يلي آلام الجرحى الذين كانت تعالجهم ومدى شدة جروحهم، في محيط يصعب فيه الحصول على الرعاية المناسبة في الوقت المناسب.

وصلت إلى هناك بعد فترة قصيرة من شروع منظمة أطباء بلا حدود في علاج الناس، حيث شاركت في حوالي 100 عملية جراحية. وكانت حوالي تسعين في المائة من هذه العمليات الجراحية تهم إصابات لها صلة بالعنف، معظمها بسبب الانفجارات وشظايا القذائف. كما كنا نعالج عدداً مهماً من إصابات الأسلحة النارية. ولكن، ما أثار انتباهنا هو عدد ضحايا القصف المكثف، بالنظر إلى حجم جروحهم ومدى الإصابات بالشظايا، إلى جانب كون المدنيين يُستهدفون بدون تمييز.

وبالنظر إلى قدرات المستشفى المحدودة، فإن وصول مجموعة صغيرة من المرضى المصابين بجروح خطيرة، كان كفيلاً بخلق ضغط كبير علينا. في مثل تلك الحالات، كنا نُضطر إلى مضاعفة الجهود والعمل بدون توقف... وإلى جانب أفراد آخرين من الفريق، كنت أعمل في قاعة الطوارئ وقاعة العمليات وأقسام الرعاية اللاحقة للعمليات. غير أن إنعاش المريض أو إجراء عملية جراحية، لا يعني أن العمل قد انتهى؛ إذ كان علينا ضمان تقديم أفضل رعاية ممكنة لاحقة للعمليات: تسكين جيد للألم، رعاية مكثفة للمرضى ذوي الحالات الحرجة، اتقاء الخُثار الوَريدي العميق، التغذية، الخ.

وغالباً ما كان المرضى يصلون إلينا في حالة مزرية من الألم، مع كل ما يترتب عن ذلك من مخاطر: فقد كنا نستقبل مرضى تصلبت أطرافهم ومفاصلهم، وكانت لديهم مشاكل في الحركة وتعقيدات خطيرة في الجهاز التنفسي. وكان آخرون يأتون إلينا من أماكن بعيدة جداً بعد أن يكونوا قد قطعوا ما يصل إلى 150 كيلومتراً. وكان عدد منهم يصل إلينا بعد أن تكون الإصابة المبدئية قد حدثت منذ فترة عوض بلوغها المرحلة الحرجة أو شبه الحرجة، فيما كان البعض يصل إلينا بعد فوات الأوان. وكان من بينهم مرضى لم يستطيعوا الحصول على أي نوع من الرعاية اللاحقة للعملية الجراحية، ومرضى آخرون تلقوا رعاية غير مناسبة، وآخرون لم يتلقوا أي رعاية طبية أصلاً.

وكان من بين هؤلاء طفل في الرابعة عشر من العمر، وصل إلينا يعاني من فشل في الجهاز التنفسي واحتقان في السوائل. وكان قد خضع لعملية جراحية في البطن وأخرى لاستئصال الطحال، ما جعل حالته الصحية تتدهور بعد أن لم يتلق رعاية طبية مناسبة في حينها. لقد وصل إلينا وقد اعتراه ما يشبه الشلل تماماً وهو فوق النقالة، ولكنه غادرنا بعد أيام قليلة من وصوله والبسمة تعتري محياه.

كما أتذكر جريحاً آخر وصل إلينا في حالة سيئة، حيث خضع منذ أيام لعملية جراحية ثم اضطر للهرب مباشرة بعدها بسبب وجود تهديد بقصف منطقته. وقد قضى يومين أو ثلاثة قبل أن يصل إلى مستشفانا، ثم استطاع هو الآخر النجاة والتعافي.

كل هذا التأخير يزيد من مشكلة الإصابة. فحين تكون أمام إصابة سببها طلق ناري أو شظية قذيفة، عليك أن تصف مضاداً حيوياً وليس أن تخيط الجرح بأكمله فوراً. فهناك عملية خياطة ثانية يجب القيام بها بعد مرور ثلاثة أو خمسة أيام، وذلك حسب ظروف الحالة. ولكن، كثيرون من الجرحى الذين استقبلناهم لم يستطيعوا الحصول على رعاية مناسبة بسبب نقص الموارد المتاحة في المناطق التي يجري فيها القتال ونواحيها. وهذا يتسبب بطبيعة الحال في تعقيدات طبية خطيرة. فقد وصلنا طفل في الخامسة عشر من عمره يعاني من صدمة إنتانية بسبب ثقب في المعدة نتج عن صدمة بليغة، حيث أصيب بشظايا قذيفة دبابة قبل ذلك بيومين ولم يخضع لعملية جراحية. في مثل تلك الحالات، تتواصل التعقيدات الطبية الواحدة تلو الأخرى بسرعة حتى تقضي على فرص نجاة المريض. وبالرغم من العملية الجراحية وكل الرعاية المركزة التي قدمناها له، توفي المسكين بعد يومين من إجراء العملية.

"غالباً ما كان المرضى يصلون إلينا في حالة مزرية من الألم، مع كل ما يترتب عن ذلك من مخاطر"..

إلى جانب مشروع المستشفى الجراحي، توزع منظمة أطباء بلا حدود الأدوية وغيرها من الإمدادات الطبية في سوريا. ورغم الصعوبات التي تعترضها في دخول البلاد، تبقى منظمة أطباء بلا حدود جاهزة لمساعدة جميع ضحايا النزاع المسلح، كما أنها تواصل توسيع أنشطتها داخل سوريا والبلدان المجاورة لها. وحالياً، تستقبل منظمة أطباء بلا حدود شهرياً حوالي 50 جريحاً سورياً في مشروعها الخاص بالجراحة الترميمية في العاصمة الأردنية عمان. كما توفر الدعم النفسي والرعاية الأولية لفائدة اللاجئين السوريين في لبنان. وتُقدر الميزانية التي خصصتها منظمة أطباء بلا حدود لعام 2012 لفائدة أنشطتها المرتبطة بالأزمة السورية بأكثر من 5 ملايين يورو.

عن أطباء بلا حدود

درب الآلام السوري

■ خالد كنفاني

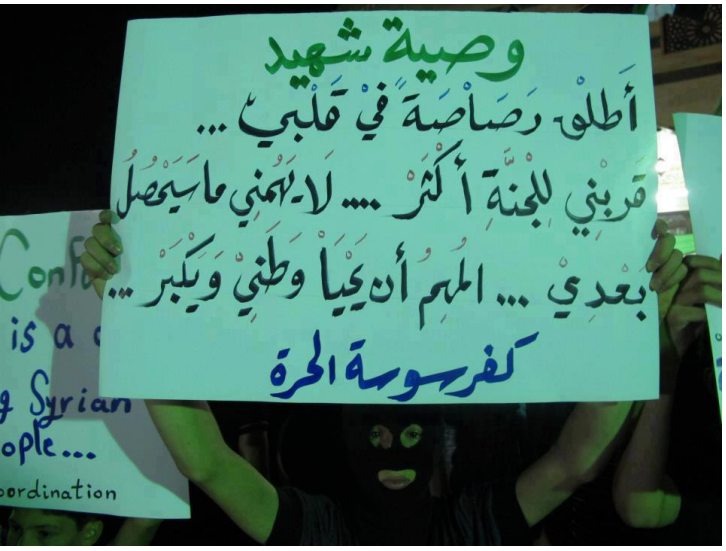

عندما قلنا فيما مضى أن مشهد القتل والدم المسفوح في سوريا سيصبح مع الأيام جزءاً من روتين حياتنا، اشرأب بعض الذين لا يزالون يعتقدون بوجود ما يسمى المجتمع الدولي الراعي لحقوق الإنسان ليقولوا أن الحالة السورية مختلفة. ولا أدري لماذا تصرّ المعارضة وبنفس منطق النظام على أن سوريا مختلفة رغم أننا نرى أن لا شيء يحدث في سوريا يقع خارج السياق السياسي والتاريخي للأحداث.

عندما أصر النظام على أن ما يحدث في سوريا هو مؤامرة وأن هناك عصابات مسلحة وسلفية وإرهابية تريد تقويض الوطن فإنه كان على الدوام يتبجح بالمقولة الرائجة بأن سوريا مختلفة، وكان لدى كثير منا ولو بعض الأمل في أن تتم إزاحة هذا النظام بمثل النعومة التي تمت فيها إزاحة أنظمة مصر وتونس، ولكن قلة من العارفين وقارئي التاريخ كانوا يعلمون أن سوريا بالفعل مختلفة وأن ما حدث في تونس ومصر هو أبعد ما يكون عن سوريا. ولما بدأت الدول الغربية وتركيا ودول الخليج تتداول بعض الأحاديث الإعلامية عن التدخل المسلح وتسليح المعارضة السورية عاد واستبشر الكثيرون بقرب الخلاص على الطريقة الليبية، وهكذا بدأت العسكرة بالفعل وانقلب الأمر من حراك سلمي إلى ثورة مسلحة شرسة لا مكان فيها لأحد الطرفين. ولكن نفس العارفين وقارئي التاريخ كانوا على علم أيضاً بأن الأمر لن يتحول إلى ليبيا أخرى لأسباب عدة لا مجال لذكرها لأنها قُتلت بحثاً وتمحيصاً، وكان أن وقع الكثيرون في فخ الحماسة المفرطة مدعومين بحماسة إعلامية خليجية تزعمتها قناة العربية التي أصبح من العادي جداً أن تنشر عشرات الأخبار يومياً ليتبين عدم موثوقيتها في اليوم التالي بينما تستمر في النشر بدون حسيب ولا رقيب.

أما ما ذكرناه في المقدمة عن عدم اختلاف سوريا عن مثيلاتها ممن سبقها في النكبات فهو أن السياسة لا تخضع لمعايير المنطق الاجتماعي أو الأخلاق الإنسانية أو الشرائع السمحة، كما لا يخفى وبعد كمّ التجارب المريرة التي عاشتها بالأخص الشعوب العربية أن كل مؤتمرات ومواثيق حقوق الإنسان ما هي إلا حبر على ورق يتحول سلاحاً عندما تقتضي الضرورة بينما يبقى حبراً عند الضرورات الأخرى. وعلى مبدأ "الضرورات تبيح المحظورات"، فقد رأى النظام أن ضرورة بقائه تقتضي قتل نصف الشعب (وهو أمر ليس بالمحظورات بالنسبة إليه) بينما ارتأت القوى الكبرى جميعها أن الضرورة تقتضي ترك نصف الشعب يذبح ولن تتضح هذه الضرورات إلا بعد وقت طويل وبعد أن تنجلي أعمدة الدخان المتصاعد من كل شارع وطريق في سوريا. في كل يوم هناك عشرات النداءات والمناشدات من مناضلي الفيس بوك والتويتر للتحذير من مجزرة جديدة أو البكاء على مجزرة قديمة، والنتيجة في الحالين سواء، ولا يعتقد هؤلاء أن لافروف أو كلينتون عميان، ولكن كلا منهما يرى الأمر على طريقته ويفسره على طريقته، ولا مكان للفقراء في هذا العالم. ونحن هنا لا نقرر أن كلينتون تقف مع السوريين حين يقف لافروف ضدهم، بل على العكس فكلاهما ضد الشعب السوري ولكن كل على طريقته. وما علينا إلا أن نذكر أن الفلسطينيين كانوا ولا يزالون يقتلون بأسلحة أمريكية على أيدي الإسرائيليين بينما تمثل روسيا حمامة السلام. هو تبادل في الأدوار لا أكثر، ومن لا يقرأ التاريخ لا يفهم الواقع.

إن كل ما يحدث من تفكك للمعارضة وانهيار لكثير من هيئاتها ومجالسها والانشقاقات العديدة التي أصبحت موضة المعارضة بعد أن كانت موضة في النظام (على حد تعبير أحد مناضلي الفيس بوك)، كل ذلك أيضاً ليس غريباً ولا شاذاً عن واقع الحياة وحقائق التاريخ. ولن نردد هنا المقولة التي يحلو لكثيرين اعتبارها شماعة لتعليق خيباتهم عليها وهي أن أربعين عاماً من حكم البعث قد أوصلتنا إلى هذه النتيجة، وفي هذا مجافاة للتاريخ والمنطق الاجتماعي، ويدحض هذا الأمر أن كثيرين ممن هم في واجهة المعارضة السورية اليوم هم ممن عاشوا خارج سوريا فترات وعقوداً طويلة في بلدان يعتبرونها مثال الديمقراطية وحقوق الإنسان، ولكنهم مع الأسف لم يتعلموا هناك السياسة. إن عقود حكم البعث هي بلا شك من أكثر العهود ظلامية ربما في تاريخ سوريا الحديث، ولكننا نغفل بذلك حقيقة أن هذه البقعة من العالم لم تعرف الحرية أصلاً إلا في فترات قليلة ومتقطعة من تاريخها، بينما رزحت في قرون كثيرة تحت الاحتلال أو الاستبداد الذي لم يبدأ مع الرومان فقط ولم ينته مع العثمانيين. وعلى هذا فإن جذور تربيتنا الضاربة في الأعماق تستند إلى أسس ديكتاتورية راسخة وهو ما يتجلى في تعامل السوريين مع زوجاتهم وأبنائهم ومن هم تحت إمرتهم، وهي علاقة قائمة دوما على تابع ومتبوع وحاكم ومحكوم وسائل ومسؤول، وهو ما كرّسه الحكام بالبنادق وحلله رجال الدين وموّله التجار في أكبر تحالف مشبوه عبر التاريخ. وهكذا استمر ذلك الثلاثي في حكم رقاب العباد عبر قرون طويلة كان يتفاوت فيها نفوذ إحدى أطراف المثلث وفقاً للظروف والمستجدات.

إن عقلية الفكر الواحد والمنهج الواحد عميقة الأثر في تراثنا وتربيتنا وهو ما يفسر فشل الكثيرين من السوريين الذين عاشوا في الخارج لفترات طويلة كما أسلفنا عن تقبل فكرة عمل الفريق وتبادل الآراء، والملاحظ أيضاً أنهم لا يجتمعون تحت مظلة واحدة إلا برعاية خارجية وليس بمبادرات ذاتية، وهكذا جرى التحضير للمجلس الوطني برعاية تركية وأمريكية، بينما يتم رعاية هيئة التنسيق والمنبر الديمقراطي وغيرهما من قبل روسيا والباقون بينهما، غير ناسين بالطبع الولاء الإخواني لقطر والسلفي للسعودية. ونحن هنا لا نخص المعارضة بالهجوم، فالأمر هنا عام لجميع السوريين لأننا جميعاً عشنا وعاش آباؤنا وأجدادنا على هذه الأرض وشربوا من مائها ودفنوا في ترابها، وهكذا يشبّ كل جيل حاملاً الكثير ممن سبقه، والطبائع لا تتغير بيوم أو يومين ولا بدورات تدريبية أمريكية ولا بحلقات بحث باللغة الانكليزية، فتغيير العقول بحاجة إلى مشروع وطني يستلهم التجارب الأخرى ويبني عليها لا أن يستنسخها، وهو ما يفسر الفشل الذريع الذي منيت به التيارات الشيوعية والاشتراكية والرأسمالية وحتى الإسلامية في تحقيق أية تنمية أو مكاسب وطنية يعتد بها. كانت السياسات تبنى على مبدأ استيراد المفاهيم والتجارب كما هي من الخارج دون تعديل، فتم تدمير الصناعات الوطنية باسم التأميم، وجرى القضاء على القطاع الزراعي باسم "الأرض لمن يزرعها"، بينما تم تهميش معظم طبقات الشعب باسم الانفتاح والرأسمالية، وتم تقسيم الناس إلى مسلمين وغيرهم واضطهاد المرأة باسم حكم الله وإتباع السلف.

إن طول أمد الثورة وإن كان يعطيها أبعاداً جديدة كل يوم، إلا أنه سيؤثر في نفوس الكثيرين من المهمشين والصامتين والمحايدين والخائفين وهم أكثرية. فانتشار حالة الذعر الجماعي والقتل والتهجير الطائفي المعلن وغير المعلن تشدّ السوريين شيئاً فشيئاً إلى الوراء وإلى أزمنة الجماعات البشرية الطبيعية حيث يكون القنص هو وسيلة العيش ويكون القتل هو سبيل البقاء على قيد الحياة. ومن هنا كانت قناعتنا دوما بأن الجميع لا يريدون حلاً حاسماً للثورة السورية، لأن مد حبال النجاة لهذا الطرف أو ذاك شبراً شبراً يعني تفجير الأوضاع وتحريض الناس على أكل لحوم بعضهم بعضاً، وهو التفسير الوحيد لهذا الكمّ الهائل من العقوبات الأوروبية والأمريكية على النظام السوري والتي بدا جلياً أنها تصيب الناس في مقتل بينما لا يزال يتمتع رموز النظام وموالوهم بكل المقدرات المتاحة وحتى شراء البضائع الثمينة عبر الانترنت. وقد صدرت العديد من الصرخات والتصريحات من السوريين ضد مسألة العقوبات التي لن تصيب سوى الشعب في استرجاع لمسألة العقوبات الدولية ضد العراق سنوات التسعينات والتي لم يذهب ضحيتها سوى الشعب بينما كان جلادوه يطعمون الحيوانات بآلاف الدولارات يومياً.

يتباهى الجيش الحر أو غيره من الفصائل المسلحة العاملة على الأرض السورية ومن ورائهم قناة العربية بتدمير عشرات المروحيات والدبابات عبر عمليات يعتبرونها نوعية وخاصة. ومن كل أسف أن المشهد السوري اليوم يحمل أقسى التناقضات وأصعبها على أي سوري، فالسوري يقتل سوريا وجندي الجيش الحر يقتل جندياً في الجيش النظامي مثلما قتل هذا الجندي زميلاً آخر له في الجيش الحر، ويتم تدمير أسلحة ومقدرات هذا البلد على أيدي الطرفين لتحقيق انتصارات لن تكون على المدى البعيد سوى إسفيناً آخر في نعش سوريا كلها، فالجيش النظامي يقتل ويدمر بيوت الناس على ساكنيها ويستبيح ممتلكاتهم ومصانعهم ومزارعهم بينما يدمر الجيش الحر أسلحة عسكرية ومنشآت مدنية في عملية إفناء متبادلة لا تبقي ولا تذر. ولست هنا في معرض تبرير تأسيس الجيش الحر وحيثيات نشأته وظروفها فالمسألة اليوم تجاوزت حماية المتظاهرين السلميين لأنه ببساطة لم يعد هناك متظاهرون إلا في بعض الأزقة هنا وهناك، ولأن صوت البندقية علا فوق كل شيء ولن يفيد صراخ بوجود مدفع كما لا يعني اعتراف تحت بندقية.

السياسة في واد والواقع السوري في واد آخر. وبينما يتعانق الملك السعودي مع الرئيس الإيراني في قمة التضامن الإسلامي، يطير رئيس الاستخبارات الإيرانية إلى دمشق ليعلن من هناك أن أمن سوريا من أمن إيران وتستمر القنوات الإعلامية السلفية في تعليق شعار "الدم السني واحد" مع عدم نسيان رفع علم الثورة، وهكذا فالتضامن الإسلامي الإعلامي شيء وواقع الحال شيء آخر. ولمن نفهم كيف لا يزال الكثيرون ينخدعون بالصور التي تعرض في الإعلام حتى أن أحدهم اغرورقت عيناه لمرأى مشهد العناق الذي ذكرناه. وقد علمنا التاريخ أننا إذا رأينا السياسيين يتعانقون فعلينا أن نتحضر جيداً فالكوارث قادمة والأمثلة أكثر من أن تحصى. إن حالة الاستقطاب الطائفي والسياسي الحالية لا تبشر بخير ودول الخليج تحاول تنويم شعوبها بدعايات حماية المسلمين في سوريا (!) بينما تحاول إيران الحفاظ على الهلال الشيعي "المقاوم" وذلك بعد الانتصارات التاريخية لها في العراق وتحويله إلى دولة طائفية على غرار الدولة السورية.

إن الأوطان ليست كالبشر، فهي قد تموت ولكنها تُبعث من جديد، وكما يموت قرص الشمس يومياً فإنه يولد من جديد في اليوم التالي وتعيش الأرض مجدداً. ولكننا باقون و"نموت نموت ويحيا الوطن".

يوم عادي في حياة مواطن سوري

أنا إنسان.. أنا مواطن سوري، طالما انتزعت الأمل غصباً من قلب الألم... لم أيأس يوماً، لم أخف، لا من حواجز على الطريق ولا من أزيز رصاص أسمعه في كل مكان..

دائماً ما أفكر بمن يعيش في المكان الذي نزلت فيه القذيفة التي أسمع صوتها، أفكر بالعائلة التي تسكن هذا البيت، أين ستذهب؟ ماذا ستأكل؟ بماذا سيلعب أطفالها؟..

أتلقى كأي مواطن سوري أخباراً لا تعرف الفرح... موت أحبّتي أو اختطافهم.. اختفاءهم وأسرهم.. ولم أعد أملك متسعًا في قلبي لألم أكثر..

ساذج وبسيط أنا، لا أبحث عن أكثر من لحظات لأفرح بها بسوريتي.. وأؤمن دائماً أني لن أختار أن أموت كما أشتهي، لكنّي سأعيش كما أشتهي..

بعض الأمل والكثير الكثير من الكرامة التي لن يحدّها حاجز ولا موت.. ومادام وطني قد تحوّل إلى مجزرة فسأسقط عنه نقاطه لتكون "سوريتنا المحررة"..

كأيّ يوم يمرّ على من أجبروا على عدم مغادرة أماكنهم قرّرت أن أخرج وأن أركب سرفيس، وأحاول استرجاع شيئا من طقوسي اليوميّة متناسياً كل ما حصل.. في الطريق استوقفنا أحد الحواجز، وطلب أحد حماة الديار منّا مواصلة المسير، فاستوقفنا جندي آخر ليشبعنا إهانات وكلاما بذيئا حدّ الرغبة في التقيّؤ!!..

وصرخ بالسائق الأسمر: "من سمح لكم بالمسير"؟

أجابه السائق وكأنّه ينتظر (مفاجعة): "زميلك سمح بذلك".

لم يعي هذا السائق ذو الوجه المجعد، والغارق في تعب الخبز اليومي، إلا وبشيء قد نزل على رأسه، بغل وحقد ووحشية، أعتقد أنها تجاوزت الكثير الكثير مما فعله الصهاينة بأهلنا في فلسطين..

حاولت تهدأتهم لتجنّب كارثة يُتوقّع حصولها، فلم أجد إلا وهذا الحامي يطلب مني هويّتي (بطاقة التعريف)، بعد أن أجبرني على النزول من السيارة. بدأ بالتدقيق في أوراقي وإذ بشيء قد صفعني بقوّة على وجهي، لم أعرف حينها ما كان، وحتى لم أعد أشعر به من شدة الألم والصدمة، لم يكتفي بذلك بل أضاف: "المرة التانية رصاصة رح تكون أسهل"..

هو قالها تهديداً ليزرع بي الخوف، لكنّه لم يكن يعلم أنّ الرصاصة فعلاً كانت ستكون أسهل وأفضل وأقلّ بشاعة من وضيع يتجرّأ على إهانتي وهو يعلم جيّدا أنّني أنا المواطن العاديّ أشرف منه بمراحل..

هل نخاف صوت الرصاص والانفجارات ؟؟ هو الموت واحد والرصاصة التّي ستقتلنا لن نسمع صوتها..

لا يملك المواطن السوري اليوم إلا أطنانا من الكرامة وبعض الأمل.. ولن نسمح لرخيص يتوعدنا بالموت.. لأننا وبكل بساطة سنعيش أكثر من عقولهم..

فنحن إن شنقنا.. سنحرر حتى مشنقتنا..

أزمنة مائية (محض تشابه)

■ لمى محمد

زمن إقليمي

في زمن القتل السابق للحرب.. يصبح كل شيء مخيفاً.. الغد، الرشح، الجوع.. الأمومة، والصداقة...

في زمن القتل يبقى "الحب" ثابتا كشجرة صنوبر عتيقة سحرية في أرض ثلجية غير قابلة للموت ولا للحرق.. ومهما (تطاولتها) الحوافر والذيول.. تبقى رائحة صنوبرها تثقب الأمل فيدخل دفء طفولي يلمنا من طرقات غريبة لا تعرفنا ولا ترى فينا أكثر من سرب مهاجر من بلاد بعيدة باردة.

المهم في الشارع الأول رأيت طفلا يحمل في يده (كيس بلاستيك) وينادي:

- اللّه يخليك.. هو ضروري مصاري.. فينك تعطيني خبز أو أي شي بيتاكل..

- من وين أنت حبيبي؟

- من حمص

- وين أهلك...

- أبوي عند اللّه.. قتلوه المسلحين كان رح يصير مقدم بعد شهر.. وأمي مع خواتي ببيت زوج خالتي ناطرين الأكل...

- مين رح يجيب الأكل؟! زوج خالتك؟!

- لا زوج خالتي بالسجن طلع بمظاهرة.. والكل ناطرني أنا لجيب الأكل.. قبل ما تزيد الحرب..

- أي حرب؟!

صمت قليلا ثم أضاف:

- الحرب الإقليمية...

- شرحلي كيف يعني إقليمية؟!

- يعني الدول الكبيرة الاستعمارية بتحارب بعضها هون على "سوريا".. منشان ما تخسر شي من ارضها وأمانها.

- مين علمك هالحكي؟!

- أمي...

- شو بتشتغل أمك...

- كانت معلمة عربي.. هلا ما بتعمل شي بس بالبيت...

- وأنت بأي صف حبيبي؟

- بالخامس...

- شو بدك تصير بس تكبر...

- بدي صير سوري...

- ليش أنت هلا مانك سوري؟!

- لا.. ولا حدا هلا سوري.. الكل هلا إقليمي.

- كيف يعني؟!

- يعني كل مين عم يشجع الدولة اللي من طرف رأيو...

- يعني أنت كمان عم تشجع دولة غير سوريا؟!

- أنا بشجع البحر يجي ويأكل كل الأشرار..

- طيب حبيبي.. إذا أمك بتقدر تشتغل أنا عندي روضة ولازمني آنسة عربي.. هي رقمي خليها تحاكيني...

- أمي ما فيها تشتغل.. إيدها اليمين انقطعت بالحرب.

حوار صديقتي مع طفل في شارع دمشقي (إقليمي)...

* * *

زمن بترول

جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خلفكم.. وكوريا الشمالية من أمامكم.. على الجانبين هناك من همشه (الخلف، والأمام) هو منقذكم.. فاتبعوه.

قالت صديقتي المصرية:

- قتلوه لأنه يمشي في الشارع مع خطيبته دون محرم.. ويقتلوننا كل يوم برؤية المرأة كالبترول.. سوداء ومحط مطامع.. ولازم ندفنها في سابع أرض..

بقيت أهم حاجة دالوقت: ازاي تفوت الحمام وبأي رجل تخش أوضة النوم..

طيب أنا مش عايزة نجبر حد يغير طريقة تفكيره.. إحنا لازم ندافع عن حق إنك تفكر.. استخدام العقل عبادة..

إحنا محتاجين الثورة تكمل عشان لحد النهاردة دي نص ثورة... ونص ثورة يعني ذل ونص.

هامش:

كتبت ثائرة ميدان التحرير الجميلة "نوال السعداوي" في مقالها الأخير في الحوار المتمدن (انطقوا الصدق فالتاريخ لن يرحمكم):

(ظاهرة المنتقبات والملتحين يتحرشون بالنساء والرجال، لا يتردون في سفك دم من يتصدى لهم؟ ظاهرة العودة إلى الرق، وحق الرجل في نكاح الجواري ومن ملكت يمينه وليس فقط أربع زوجات؟، محاولة الانقضاض على بنود قانون الأسرة التي تحمي حقوق الأطفال وأمهاتهم البائسات..... إلخ إلخ.).

انتهى الاقتباس.

* * *

زمن أحذية

نحن في زمن للأحذية أيضاً.. حذاء زجاجي (بكعب) عال يأكل (الكاتو)..

حذاء طائفي لامع (ماركة)..

(بوط) عسكري فاحت رائحته..

(شحاطة) بيتية مريحة..

(جزمة) تزلج على الجليد مغتربة..

(صباط) يلف الفضائيات يريد مصادرة رأيك من جديد..

(شحاطة) تفتي في بيوت اللّه بكل شيء إلا بمحبة اللّه...

وحدهم أسياد هذا الزمن حفاة... حفاة...

هامش:

لا داع للعجب من رسومات " فان غوخ" الكثيرة عن الأحذية.. فالحذاء يحكي قصتك.. ماضيك.. معاناتك.. ويشير غالبا إلى الأرضية التي تستند عليها لتبقى ثابتا.. من جهتي أحب الحفاة.. جداً...

* * *

زمن أقنعة

ارم قناعك.. وتعرّ..
من طين أنت فلا تبخلْ..
لا تتكبرْ
فتجد البارحة ترجل
يزحف زحفا نحو حفيدك..
يقتله بكلماتك أنتَ جدّا أكبر في حرب أخرى..
في زمن لا يفعل شيئا إلا أن يتكرر...
ارم قناعك.. حطم من يحتل العقل
حطّم من ألبسك طوائفَ فضفاضة..
ثيابا في عيد لن يحضر...
من يكرهُ طفلا يتغنى بقطعة حلوى؟!
من أنساكَ المشي صغيرا خلف براءةِ (لا تقتل)؟!
من يكره وطنا ممتدا.. يختلط الأبيض
بالأسمر.. بالأسود فيه ولا ينسى أن
الألوان برمتها من صنع إله محبة
لو شاء الخالق لمحاها.. وصرنا كالماء..
محضُ تشابه
ارميها هذي الأحقاد
فبلادك أحلى بالسالب والموجب وعلاقات تضاد..
و موتك قدرٌ لن يتأجل مهما حاولت الإنكار.

* * *

أزمنة كلها كالماء في تشابهها، لنرفضها حتى نستطيع الاستمرار...

يتبع...

الحوار المتمدن 9 / 7 / 2012 العدد 3783

عن العلويين والثورة السورية

■ راتب شعبو

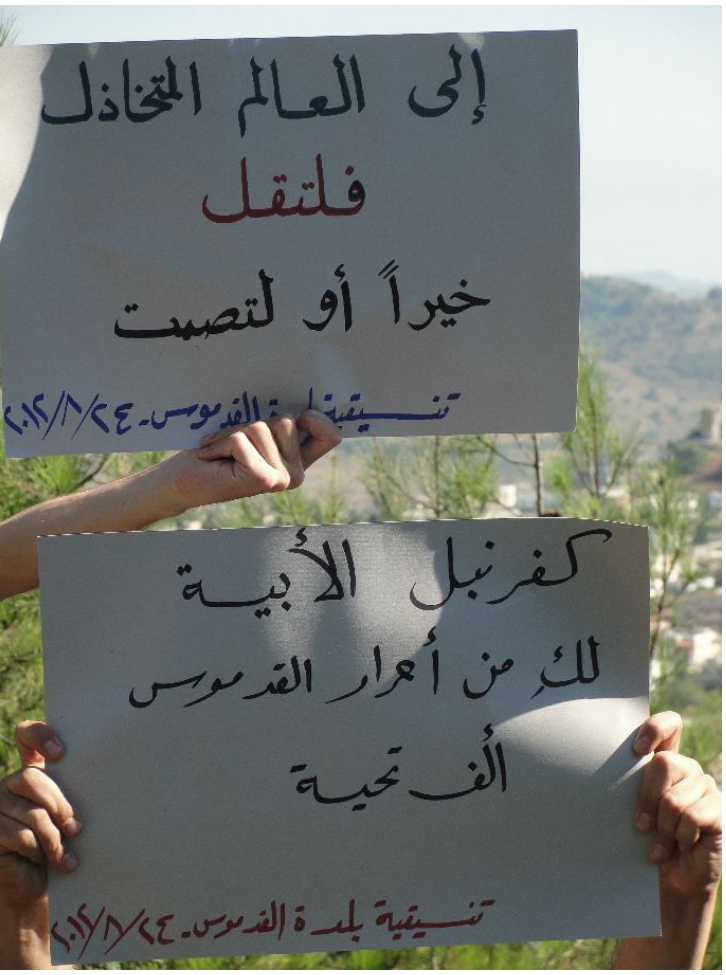

هل يجوز الكلام عن العلويين في السياسة؟ هل يمكن النظر اليوم إلى العلويين في سوريا ككتلة سياسية؟ وما هي حدود التطابق بين الطائفي والسياسي هنا؟ وما تأثير ذلك في مآلات الثورة السورية؟

يتحول العلويون في غالبيتهم في سوريا اليوم، بفعل ظروف بدايات الثورة السورية والمسار الذي اتخذته، وعوامل أخرى متداخلة سأسعى إلى تحديدها، كتلة بشرية ذات توجه عام محافظ من الناحية السياسية ومضاد للثورة. هذه مفارقة حارقة ولاسيما إذا عرضنا هذا الواقع على تاريخ طويل تميزت به هذه البيئة الاجتماعية المنفتحة باحتضانها للأفكار والحركات والانتماءات السياسية الثورية مثل الماركسية والقومية والعلمانية وغيرها. وهذا في ظني تحوّل عارض يزول بزوال ضباب الخوف والتشكيك والتضليل تحت شمس سوريا جديدة.

ربما لم يكن العلويون متجانسين من الناحية السياسية حيال موضوع ما، كما هم اليوم حيال الثورة السورية التي كان من أبرز آثارها، وهذا مما يضع العقل في الكف، أنها وحّدت مواقف أبناء هذه الطائفة بمختلف تلويناتهم السياسية الموالية (أصلاً) والمعارضة (سابقاً)، وبمختلف مستوياتهم الثقافية في موقف واحد ينتهي إلى أن الثورة السورية حركة إسلامية بدوافع طائفية غير وطنية وليس لها مما تدّعي نصيب. لا بل إنها مؤامرة متعددة الرأس. وقد بدت لهم شعارات الحرية والكرامة التي هتفت بها حناجر مئات الألوف من السوريين متحدّين أخطار الاعتقال والتعذيب والرصاص الحي، ستاراً لأغراض غير وطنية في مخطط يهدف إلى ضرب المقاومة وإسقاط الدولة (وليس السلطة) السورية، وربما تفتيت سوريا. المستفيد من النظام وغير المستفيد، المرتكب والنزيه، الموالي الأزلي والمعارض الأزلي، المخبر والمناضل، المثقف والأمي، توحدوا سياسياً في وجه ما يرون أنه مؤامرة أميركية خليجية. والحق أنه منذ الأيام الأولى للحراك الثوري السوري، شعر العلويون بغربة عن هذا الحراك، لا تني تتزايد يوماً وراء يوم على وقع الدفن اليومي لموتاهم القادمين من مختلف أنحاء سوريا في خضم هذا الصراع. في النظر إلى هذا الواقع، نضع يدنا على العناصر التي جعلت من العلويين كتلة محافظة من الناحية السياسية وأبعدتهم عن المشاركة الفاعلة في الثورة السورية:

الاشتراك في المنبت المذهبي مع الرئيس ومفاصل أمنية وعسكرية أساسية في النظام السوري الحالي. يتشعب فعل هذا الانتماء المذهبي المشترك اليوم إلى أثرين: ينبع الأول من أنه أشبع لدى العلويين عموماً حاجة ممضة إلى الاعتراف على خلفية أن العلويين طالما شعروا عبر تاريخهم بنقص في الاعتبار دينياً (يكتفي العلويون برضاهم الذاتي حيال قناعاتهم الدينية من دون أن يكون لديهم أدنى ميل دعوي ديني أو أدنى ميل للمنافسة على الشرعية الدينية الرسمية مع الإسلام السني)، ووطنياً (بسبب الفقر والجهل والتمركز في المناطق الريفية النائية عن مراكز المدن التي تعتبر مصنع السياسة والسياسيين). على هذا فإن التحرك الشعبي ضد النظام السوري أطلق منذ البداية موجة قلق وخوف غامض من النكوص إلى حال سابقة من التهميش ونقص الاعتبار، ولاسيما أن الحراك بدأ من خارج البيئة العلوية وبسمات إسلامية ما فتئت تتزايد عمقاً واتساعاً، وأن شخص الرئيس برز في سياق الثورة على أنه المستهدف الأول إن بالهتافات أو التصريحات (يسأل كثير من المثقفين العلويين عن دلالة تسمية الصفحة الأهم للثورة السورية على الشبكة "الثورة السورية ضد بشار الأسد" وليس ضد النظام السوري مثلاً). إن لدى الكثير من العلويين اقتناعاً بأن كل الغرض من هذه الثورة هو إسقاط الرئيس لأنه علوي المولد، ويلتقطون من غمرة الأحداث والمواقف ما يفيد ذلك. أما كيف يستوي أن يُنظر إلى الثورة السورية على أن غايتها ضرب المقاومة، وهذه غاية سياسية تتجاوز الانتماءات الطائفية، وعلى أنها موجهة ضد الرئيس لأنه من مذهب معين، وهذه غاية طائفية حصراً، فهذا مما لا تعنى به الإيديولوجيا السياسية. الأثر الثاني لهذا الانتماء المشترك هو الخشية من أن يحمل العلويون وزر جرائم النظام (الذي كثيراً ما يصفه معارضون بأنه طائفي أو علوي) ويصبحون بعد سقوط النظام موضوعاً لعمليات انتقام تحاسب على الانتماء. تقوم هذه الخشية على اقتناع بأنه سوف يتم تحميلهم كجماعة، مسؤولية سياسات النظام لمجرد الانتماء وبصرف النظر عن ضلوع الشخص أو براءته. يغدو هذا العنصر أقوى كلما امتد أمد الثورة وزادت فظاعة ما يرتكبه النظام من جرائم يعتقد العلويون أنهم سيُحمَّلون وزرها. أي أن العلويين يعبّرون عن مخاوف بعيدة الأمد (التهميش) ومباشرة (الانتقام) بما يفضح تقييمهم العام للثورة السورية بأنها غير ذات صلة لا بالحرية ولا بالديمقراطية التي تدّعيها لنفسها.

وجود نسبة كبيرة من العلويين في صفوف الجيش والأجهزة الأمنية كوظيفة، في ظل حالة الفقر العام وتدهور الزراعة كمصدر للرزق، إضافة إلى عامل الجذب الذي شكلته هذه الأجهزة لفقراء الريف بوجود أشخاص من بيئتهم في مواقع مهمة فيها بما يتيح لهم في هذه الأجهزة شيئاً من القبول وحتى المحاباة. وكان التطوع في هذه الأجهزة ليس فقط مصدراً للدخل بل وأيضاً مصدراً للقوة والسطوة يمارسونها، من جملة من تمارس عليهم، على أبناء قراهم نفسها. على هذا، كان حضور العلويين كثيفاً دائماً في أجهزة القمع الرسمية في ظل نظام الأسد، حتى أن اللهجة العلوية ارتبطت في أذهان السوريين بهذه الأجهزة. من طبيعة الأمور، والحال هذه، أن تجد نسبة كبيرة من العلويين نفسها بحكم عملها ومهامها الرسمية (عدا اقتناعاتها السياسية) في وجه التحرك الثوري وهذا ما أدى، بعد تحول الثورة إلى حمل السلاح، إلى مقتل الكثير منهم، مع ما يولد ذلك لدى الأهالي من مشاعر عداء تجاه الجهة التي تقتلهم. لم ينضج في أذهان العلويين، ولن ينضج بعد الآن، الاقتناع السياسي الذي يجد في "الجيش الوطني" خصماً حين يتحول أداة بطش وقمع وقتل للأهالي، الأمر الذي يجعلهم في تماهٍ تام مع الخطاب الإعلامي للنظام الذي يكرم أبناءهم كشهداء ويصف الجهة التي تقتلهم بأنها "عصابات".

مهّد ما سمّي سياسة الاستيعاب الجامعي لظهور فئة مثقفة جديدة بين العلويين، ذلك أن التعليم كان السبيل الآخر (سوى الجيش وأجهزة الأمن) المتاح لتحقيق الارتقاء الاجتماعي وتأمين مصادر الدخل. وقد استقطب هذا الباب الفئة ذات الطموح العلمي التي يعلو طموحها على التطوع في الجيش والأمن. اعتمد النظام كالعادة، سواء داخل الطائفة العلوية أو غيرها، سياسة تمييزية معيارها الولاء، في إتاحة الفرص الدراسية العليا، الأمر الذي خلق جيشاً إيديولوجياً في صالح النظام دافع ويدافع عنه في وجه كل تحرك مضاد حتى لو كان علمانياً وسلمياً وملائكياً، فكيف إذا جاء التحرك عنفياً وبلون إسلامي غالب وبدعم من جهات ودول لا تقل استبداداً عن النظام السوري وبمباركات طائفية من مشايخ داخل سوريا وخارجها، مما زوّد من يريد الوقوف في وجه الثورة السورية ما يحجب به لب هذه الثورة ومغزاها.

نفور العلويين العام من الاتجاهات السياسية الإسلامية وميلهم لاحتضان التيارات السياسية اليسارية عموماً بما فيها التيارات والأحزاب التي دفعت أثماناً باهظة في مواجهة استبداد النظام مثل الحزب الشيوعي السوري - المكتب السياسي، رابطة العمل الشيوعي التي تحولت بعد مؤتمرها الأول والأخير في آب 1982 إلى حزب العمل الشيوعي، حزب البعث الديمقراطي (تيار صلاح جديد). وقد شكل هذا النفور أساس الشعور بالغربة عن الثورة السورية منذ بداياتها. يستحق الانتباه أن المزاج المعارض اليساري لم يتبدد في الوسط العلوي خلال الأحداث العنيفة التي شهدتها سوريا في نهاية السبعينات وأوائل الثمانينات، وظل للمعارض العلوي (اليساري غالباً) قبول وتأثير في وسطه آنئذ، على خلاف الحال اليوم حيث بات المعارض العلوي منبوذاً في وسطه إلى حد الوسم بالخيانة. ويحتاج هذا التحول إلى بحث مستقل لفهم أسبابه.

ما سبق من عناصر، خلق مجال جذب سياسياً يوحد أفراد هذه الطائفة على العموم ويعطيها اليوم صبغة سياسية معينة ويتيح مخاطبتها في هذه اللحظة ككتلة مذهبية سياسية. نرجو أن يكون من المفاعيل اللاحقة للثورة السورية، تبديد هذا المجال لصالح مجال تجاذب سياسي وطني تكون فيه هذه الطائفة وغيرها من الجماعات مخترقة بالتلاوين والتيارات السياسية الوطنية العامة. وبعد، يتطلب هذا الواقع تأملاً مستقلاً لتأثيراته في مآل الثورة السورية.

ملحق النهار اللبنانية 1 / 9 / 2012

المرسوم التشريعي رقم 35 للعام 2012 القاضي بإحداث المحكمة الدستورية العليا

■ ياسر مرزوق

اقتصر الدور السابق للمحكمة الدستورية على التدقيق والتحقيق دون إطلاق الأحكام، ما أدى لعدم تطابق اسمها مع فعلها باعتبارها محكمة ذات صلاحيات دستورية واسعة. فالمحكمة كانت تدقق في الطعون المقدمة إليها ثم ترفع تقريرها إلى مجلس الشعب ليقوم بدوره باتخاذ الأحكام دون أن يكون للمحكمة أي دور في ذلك.

وبعد إقرار الدستور الجديد أصدر رئيس الجمهورية مرسوماً تشريعياً يقضي بتشكيل المحكمة الدستورية العليا، تؤلف من سبعة أعضاء يكون أحدهم رئيساً ويسميهم رئيس الجمهورية بمرسوم لمدة أربع سنوات قابلة للتجديد، كما تضمن المرسوم اختصاصات المحكمة وشروط عضويتها.

ونصت المادة الأولى من المرسوم التشريعي المذكور على أن المحكمة الدستورية العليا هيئة قضائية مستقلة مقرها مدينة دمشق وتصدر أحكامها باسم الشعب العربي في سوريا. وذلك وفقاً لأحكام الباب الرابع من الدستور الذي نص على أن المحكمة الدستورية العليا هيئة قضائية مستقلة مقرها مدينة دمشق، وتتألف من سبعة أعضاء على الأقل يكون أحدهم رئيساً يسميهم رئيس الجمهورية بمرسوم، ولا يجوز الجمع بين عضوية المحكمة الدستورية العليا وتولي الوزارة أو عضوية مجلس الشعب، ويحدد القانون الأعمال الأخرى التي لا يجوز الجمع بينها وبين عضوية المحكمة.

وجاء في المادة الثالثة من المرسوم أنه يشترط في عضو المحكمة الدستورية العليا أن يكون متمتعاً بجنسية الجمهورية العربية السورية ولا يحمل جنسية أخرى، متمتعاً بشروط التوظيف العامة، متمماً الأربعين من العمر ولم يتجاوز الثانية والسبعين، حائزاً على الإجازة في الحقوق من إحدى الجامعات السورية أو ما يعادلها، ومارس العمل القضائي أو المحاماة أو التدريس في كلية الحقوق مدة لا تقل عن خمسة عشر عاماً.

كما نص المرسوم في مادته الخامسة على أنه لا يجوز الجمع بين عضوية المحكمة وبين الوزارة، أو عضوية مجلس الشعب، وأي مهنة أو وظيفة أخرى باستثناء التدريس في الجامعة.

أعطى المرسوم الجديد المحكمة الاختصاص بالإشراف على انتخابات رئاسة الجمهورية وتقرير صلاحيتها في البت بالدفوع المحالة من المحاكم في معرض الطعن بالأحكام بعدم دستورية نص قانوني والبت في هذه الدفوع خلال ثلاثين يوماً من تاريخ القيد لدى ديوان المحكمة الدستورية وإذا قررت المحكمة مخالفة القانون أو المرسوم التشريعي للدستور عد لاغياً ما كان مخالفاً منها لنصوص الدستور بمفعول رجعي ولا يرتب أي أثر.

نصت المادة 20 أن المحكمة تختص بمحاكمة رئيس الجمهورية في حال اتهامه بالخيانة العظمى مع الشركاء والمتدخلين والمحرضين والمخبئين. وتنص المادة 22 من المرسوم أنه يصدر قرار اتهام رئيس الجمهورية من مجلس الشعب بأكثرية ثلثي أعضائه ويرسله رئيس المجلس مع مذاكرات المجلس والوثائق جميعها إلى رئيس المحكمة.

وأتاح المرسوم للمحكمة البت في طعن مقدم من مرشح لم يفز في انتخابات مجلس الشعب والمتعلق بصحة انتخاب الأعضاء الفائزين خلال 7 أيام من تاريخ انتهاء مدة تقديم الطعون، ويكون قرارها واجب التنفيذ بشرط تقديم الطعون لرئيس المحكمة خلال 3 أيام من إعلان النتائج.

وأعطى المرسوم للمحكمة الحق بالنظر في دستورية القوانين قبل إصدارها بناء على طلب من رئيس الجمهورية أو خمسة أعضاء مجلس الشعب ودستورية المراسيم التشريعية بناء على طلب خمسة أعضاء مجلس الشعب إضافة إلى النظر في دستورية مشروعات القوانين والمراسيم التشريعية بناء على طلب رئيس الجمهورية.

كما يحق للمحكمة البت في الدفوع المحالة من المحاكم في معرض الطعن بالأحكام بعدم دستورية نص قانوني موضحاً في حال تنازع الاختصاص بين المحكمة الدستورية العليا والسلطات القضائية الأخرى يجري تعيين المرجع من هيئة تشكل برئاسة رئيس المحكمة الدستورية العليا وعضوية أحد أعضائها يسميه رئيس المحكمة وأحد مستشاري محكمة النقض أو مجلس الدولة بحسب الحال تجري تسميتهما من رئيس محكمة النقض أو رئيس مجلس الدولة ويكون قرار الهيئة ملزماً.

تتولى المحكمة الرقابة على دستورية القوانين والمراسيم التشريعية وفقاً للآتي:

- النظر في اعتراض رئيس الجمهورية أو خمسة أعضاء من مجلس الشعب على دستورية قانون قبل إصداره والبت فيه خلال خمسة عشر يوماً وخلال سبعة أيام في حالة الاستعجال من تاريخ تسجيل الاعتراض في ديوان المحكمة ويتوقف إصدار القانون إلى حين البت في الطعن.

- النظر في اعتراض خمسة أعضاء من مجلس الشعب على دستورية مرسوم تشريعي ويقدم الاعتراض خلال خمسة عشر يوماً من تاريخ عرض المرسوم التشريعي على مجلس الشعب وتصدر المحكمة قرارها خلال خمسة عشر يوماً من تاريخ تسجيل الاعتراض لديها.

- إذا قررت المحكمة مخالفة القانون أو المرسوم التشريعي للدستور عد لاغياً ما كان مخالفاً لنصوص الدستور بمفعول رجعي ولا يرتب أي أثر.

- إبداء الرأي في دستورية مشروعات القوانين والمراسيم التشريعية وقانونية مشروعات المراسيم بناء على طلب رئيس الجمهورية ويقوم رئيس المحكمة بإبلاغ رئيس الجمهورية الرأي خلال خمسة عشر يوماً.

- النظر في الدفوع في معرض الطعن بالأحكام بعدم دستورية نص قانوني المحالة من المحاكم والبت في هذه الدفوع في غرفة المذاكرة خلال ثلاثين يوماً من تاريخ القيد لدى ديوان المحكمة وإذا قررت المحكمة عدم دستورية النص المطعون بدستوريته عد لاغياً من تاريخ صدور القرار.

- لا يحق للمحكمة الدستورية العليا أن تنظر في دستورية القوانين التي يطرحها رئيس الجمهورية على الاستفتاء الشعبي وتنال موافقة الشعب.

هذا و يخضع رئيس المحكمة وأعضاؤها في ملاحقتهم الجزائية إلى الأصول والاختصاصات المتبعة في محاكمة القضاة وفي حال ارتكاب أحد الأعضاء جرماً مشهوداً يعلم رئيس المحكمة فوراً بالأمر وإذا كان الفاعل هو الرئيس تعلم الهيئة العامة بذلك. وإذا فقد رئيس المحكمة أو أحد أعضائها ما يتطلبه منصبه من أهلية أو سيرة حسنة تقترح الهيئة العامة للمحكمة إقالته بقرار معلل ويعلم رئيس الجمهورية بذلك. كما يحق لرئيس الجمهورية أن يقرر الإقالة بمرسوم وتصفى حقوق المفصول وفقاً للقوانين النافذة.

وصرح المرسوم للمحكمة بأن تستعين مباشرة بأي جهة قضائية أو غير قضائية في معرض النظر في الطعون المتعلقة بصحة انتخاب رئيس الجمهورية أو أعضاء مجلس الشعب.

ولابد من التمييز بين محكمة النقض تنظر في قانونية الأحكام في حين تختص المحكمة الدستورية العليا النظر في مدى تلاؤم الحكم مع الدستور، أما الطعون المقدمة حول دستورية أي قانون من الأفراد فتقدم عبر المحكمة المختصة إذا رأت ضرورة لذلك ولا تقدم بشكل فردي.

ونص المرسوم أيضاً على أن جلسات المحاكمة علنية إلا إذا رأت المحكمة جعلها سرية حفاظاً على النظام العام أو في الأحوال الأخرى التي يقررها المرسوم التشريعي أو وجدت المحكمة ضرورة لذلك. وتصدر المحكمة حكمها مبرماً بالإجماع أو الأكثرية ولا يقبل من طرق الطعن سوى الاعتراض وإعادة المحاكمة.

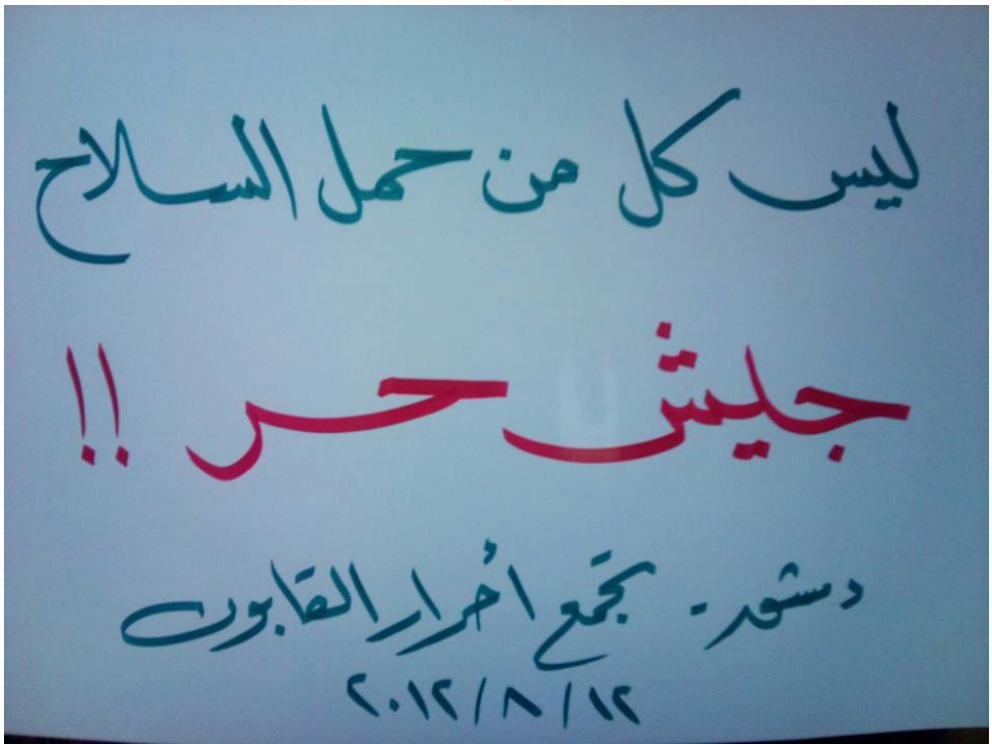

يوسف مزاحم (1921-1998)

■ خالد كنفاني

ولد يوسف مزاحم في قرية الفيجة في ريف دمشق عام 1921. كان والده موظفاً في مصلحة السكك الحديدية بمحطة عين الفيجة، وكان ودوداً متواضعاً محباً للناس. وهكذا شبّ مزاحم على هذه الخصال التي لازمته وتعمقت في سلوكه فيما بعد.

من أبرز الحوادث في حياته كان وفاة والدته في سن مبكرة مما ترك في نفسه جرحاً غائراً لم يندمل على الإطلاق وخاصة أنه كان في سن الرابعة فقط. بعدها كفلته جدته لأبيه إلى أن دخل المدرسة الابتدائية في القرية التي لم تكن تحتوي إلا على ثلاثة صفوف، وهكذا فقد وصل يوسف مزاحم إلى الصف الثالث الابتدائي ثم قضى عامين دون دراسة إلى أن قرر التقدم إلى فحص الشهادة الابتدائية منفرداً وقام بالدراسة لوحده حتى نال من العلامات ما خوّله الحصول على كرسي مجاني في مدرسة تجهيز دمشق ودخلها أواخر عام 1936.

أتمّ مزاحم دراستيه الإعدادية والثانوية عام 1944 ولم تكن في جامعة دمشق سوى كليتا الطب والحقوق، فقرر الالتحاق بكلية الحقوق وكان اسمها آنذاك معهد الحقوق العربي بدمشق وكان وقتها يعمل معلماً في مدرسة قرية بيت تيما الابتدائية من منطقة قطنا بريف دمشق، وهذا ما جعل الالتزام بالدوام الجامعي صعباً بالنسبة إليه، فكان يستغل الإجازة السنوية شهراً كاملاً ليعزل نفسه في المنزل ويحفظ المواد المقررة ثم يتقدم للامتحانات الجامعية، وهكذا أنهى دراسة الحقوق ونال الإجازة فيها عام 1947 لينتسب بعدها إلى كلية الآداب حيث نال إجازة في الآداب من قسم التاريخ عام 1952 ليعود بعدها إلى كلية الحقوق لينال شهادة اختصاص في العلوم المالية والاقتصادية عام 1953.

تدرّج يوسف مزاحم في حياته الوظيفية بشكل متسارع نظراً لإخلاصه وتفانيه في خدمة عمله، فقد بدأ حياته الوظيفية كمعلم في المدرسة الابتدائية بقرية بيت تيما (كما ذكرنا آنفاً) إلى أن انتقل إلى محافظة مدينة دمشق الممتازة ككاتب في شعبة الصرفيات ثم صدر قرار من المحافظ بتصنيفه محاسباً أول عام 1945. وقد أوكلت إليه مهمة تنظيم حفلات عيد الجلاء بدمشق حيث تلقى بعد انتهائها كتاب شكر من المحافظ يبلغه فيها شكر رئيس مجلس الوزراء بتاريخ 27 نيسان 1946. وهكذا بقي على تدرجه في المناصب في محافظة دمشق إلى أن صدر قرار من وزير الداخلية عام 1951 بتعيينه بوظيفة مدير دائرة المالية في محافظة مدينة دمشق الممتازة.

تم تكليف يوسف مزاحم عام 1955 بتمثيل سوريا في دورة ألعاب البحر الأبيض المتوسط في برشلونة الاسبانية، وقد تضمن تكليفه أيضاً زيارة بلديات بعض المدن الاسبانية للاطلاع على قوانينها المالية والتشريعية للاستفادة منها، وكانت نتيجة ذلك أن تم تكليفه لاحقاً بالسفر إلى فرنسا وسويسرا لمدة أربعة أشهر وذلك في حزيران 1956 للاطلاع على الأصول والمعاملات المالية في مدن ليون ونيس وجنيف، وهو ما عاد على الدائرة المالية في محافظة دمشق بأكبر النفع فيما بعد.

اختير يوسف مزاحم مطلع عام 1957 مديراً عاماً للشرطة والأمن في سوريا رغم عدم انتمائه إلى أي تيار سياسي في جو مشحون آنذاك بين تيارات قومية شملت الحزب الوطني الذي ضمّ الرئيس شكري القوتلي وحزب البعث الذي ضمّ أكرم الحوراني وسياسيين مستقلين وبين غيرهم ممن كانوا يعرقلون أي تقارب مع محيط سوريا العربي آنذاك. ومن أهم إنجازات مزاحم في منصبه الجديد رغم قصر الفترة التي قضاها هي ملاحقة المتشردين ومنع التحرش بطالبات المدارس ومراعاة حرمة شهر رمضان ولكن القرار الأبرز كان منع رواد الملاهي الليلية من مجالسة الفنانات وذلك لدواع أمنية حيث تبين ارتباط الكثير من هؤلاء الفنانات بجهات أجنبية وهن يجالسن بعض المسؤولين أو المتنفذين في الدولة مما يشكل خطراً على أمن البلاد. ولعل القرار الأخير هو ما أثار زوبعة من الانتقاد بحقه وقام أصحاب الملاهي برفع دعاوى ضده ولكنهم خسروها نظراً لأنه لم يقم بإقفال الملاهي وإنما تنظيم عملها وهو من صلاحيات مدير الشرطة والأمن. غير أن الضغوط الشديدة أودت بالنهاية إلى صدور مرسوم جمهوري بإعفائه من منصبه في الشهر الخامس عام 1957 وهو ما أثار الرأي العام وكذلك مجلس النواب الذي استنكر هذا الموضوع بشدة. وبعد عدة مداولات وضغوط صدر مرسوم جمهوري بتعيينه محافظاً لدير الزور في 1 تموز 1957.

تعتبر محافظة دير الزور من المحافظات المهمة في سوريا فبالإضافة إلى الجانب الاقتصادي فإن موقعها الجغرافي الذي يمتد حتى الحدود التركية شمالاً والحدود

العراقية جنوباً يجعلها منطقة استراتيجية حساسة. ومن أهم المشاريع في المحافظة في عهده: تزفيت المطار والمباشرة ببناء مبنى الهاتف الآلي، صيانة الجسر الكبير على نهر الفرات، فتح طريق عام يصل دير الزور بدمشق مروراً بتدمر، إنشاء شبكة مجاري عامة للشوارع بطول يزيد على 4 كيلومترات وكذلك غرس أربعة آلاف شجرة غرب المدينة وجنوبها.

وعندما قامت الوحدة بين سوريا ومصر كان يوسف مزاحم لا يزال على رأس عمله، وقد قام كمال الدين حسين عضو مجلس قيادة الثورة وزير التربية والتعليم المركزي بزيارة للمحافظة مما أتاح لمزاحم أن يعرض المزيد من متطلبات المحافظة ليتم عرضها على الحكومة المركزية في القاهرة. وكان مما قاله في كلمته الترحيبية بالوزير: "إن منطقة الفرات ذاقت في العهود السوداء الماضية الشقاء كله والإهمال كله حتى غدت متخلفة عن جميع مناطق الدولة، فهذه المنطقة لم يكن يزورها وزير ولا أصغر من ذلك ولم يكن يدري من شؤونها رجال السياسة إلا كما ندري نحن من شؤون المريخ وحان الوقت لنسف هذه العهود السوداء".

كان يوسف مزاحم كثيراً ما يركز على نبذ العشائرية والطائفية، وقد قال في أحد خطبه في زيارته لناحية تل أبيض في الشمال: "لقد بقينا أربعمائة عام نكافح الأتراك وثلاثين عاماً نكافح الفرنسيين لنحقق الاستقلال والحرية والعدالة بين أبناء الجنوب والشمال المسلمين والمسيحيين لا نفرق بينهم فكلهم سواسية في هذا الوطن العزيز".

وبتاريخ 15 كانون الأول 1958 أصدر وزير الداخلية آنذاك أمراً إدارياً

بتكليف يوسف مزاحم لتسيير أعمال الأمانة العامة لوزارة الداخلية، وكان أن خرج كل أهالي دير الزور لوداعه حتى مدينة الرقة حتى أن بعضهم استمر معه حتى بلوغه حلب على مسافة 325 كيلومتراً عن دير الزور. وقد بقيت علاقاته قوية ومتينة مع أبناء دير الزور وأعيانها وشيوخ عشائرها.

وكانت المهام في وزارة الداخلية آنذاك مضاعفة نظراً للتنسيق مع وزارة الداخلية المركزية في القاهرة، إلى جانب البدء في مواءمة القوانين والأنظمة السورية والمصرية للحيلولة دون التضارب والازدواجية ومراعاة التنسيق وصولاً إلى توحيد هذه القوانين في نهاية المطاف. وقد قام يوسف مزاحم أثناء توليه الأمانة العامة لوزارة الداخلية بإجراء دورات تدريبية لرجال الشرطة داخل وخارج سوريا وكذلك إيلاء السجون العناية الكافية وتنظيمها لتكون مراكز إصلاح وتربية، وعمل على إلغاء قانون العشائر بحيث يتمتع أبناء العشائر بالحقوق والواجبات ذاتها على قدم المساواة مع باقي المواطنين. وكان مألوفاً أن تكون نافذة غرفته في مبنى وزارة الداخلية (السراي) هي النافذة الوحيدة المضاءة في المبنى كله آخر الليل. وكان من مهامه الإشراف على انتخابات الاتحاد القومي عام 1959 على مستوى سوريا كلها. وأثناء وجوده في منصبه قام الماريشال تيتو رئيس جمهورية يوغوسلافيا بزيارة إلى الإقليم السوري برفقة الرئيس جمال عبد الناصر، وأدى نجاح الزيارة إلى حصول مزاحم على وسام الاستحقاق العسكري من الدرجة الأولى من الرئيس جوزيف تيتو.

بتاريخ 17 آذار 1960 أصدر الرئيس جمال عبد الناصر قراراً جمهورياً بتعيين عدة وزراء في الإقليم الشمالي وتضمن القرار تعيين يوسف مزاحم وزيراً للأوقاف وهو بذلك أول وزير للأوقاف بتاريخ سوريا، ذلك لأن الأوقاف كانت فيما مضى مؤسسة تابعة لرئاسة مجلس الوزراء كمديرية عامة. وهذه الظروف زادت من أعبائه لتوليه حقيبة وزارية في وزارة محدثة ليس فيها نظام أساسي ولا هيكل إداري أو ميزانية مستقلة. واستغرق الموضوع عاماً كاملاً حتى إصدار القرار الجمهوري بتنظيم وزارة الأوقاف في الإقليم السوري وذلك بجهوده الدائبة بعد أن كانت كثير من أموال الأوقاف يتم نهبها أو توجيهها للمصالح الشخصية وكذلك تنظيم العمل الديني في دور العبادة، وقام كذلك بإيفاد بعض المدراء إلى مصر وتونس وغيرها للاستفادة من تجارب التعليم الشرعي والمعاهد الدينية هناك.

أثناء تسلمه مهام المدير العام للشرطة والأمن في سوريا ويبدو إلى يمينه السيد صبري العسلي رئيس لاوزراء ووزير الداخلية وقتذاك وإلى يمين السيد العسلي سلفه في المديرية العامة المقدم زكي درعوزي

وفي عام 1961 تم وضع نظام جديد للجمهورية العربية المتحدة يقضي بأن يكون فيها مجلس وزراء مركزي واحد في القاهرة عاصمة الجمهورية وكان أن تم تعيين يوسف مزاحم مجدداً وزيراً للأوقاف في الحكومة المركزية الموحدة بالقاهرة، وعقدت الوزارة الجديدة أول اجتماع لها برئاسة الرئيس جمال عبد الناصر بتاريخ 27 آب 1961. إلا أن الأمر لم يطل حيث قامت في دمشق في 28 أيلول 1961 حركة انقلابية تم بمقتضاها انفصال الإقليم السوري عن الجمهورية العربية المتحدة.

قام الرئيس عبد الناصر بتكليف يوسف مزاحم بمهمة لقاء العقيد عبد الكريم النحلاوي قائد الانفصال لمطالبته بما تم الاتفاق عليه بشأن إعادة الوحدة (وهو ما كان النحلاوي وزملاؤه قد وعدوا به عبد الناصر في آذار 1962) وكان من المقرر أن تستمر المهمة أسبوعاً إلا أنها طالت لتصل إلى ثمانية عشر شهراً ذلك أن الانفصاليين اعتقلوا مزاحم وأودعوه سجن المزة العسكري بدمشق واعتقل معه ما يقارب المائة وخمسين شخصاً لمدة سبعة أشهر تم الإفراج عنه بعدها أواخر شباط 1963 لعدم توفر الأدلة ضده. وفي 8 آذار 1963 قامت حركة عسكرية قوامها بعض الفئات القومية في الجيش من وحدويين وبعثيين وناصريين بالانقلاب على الحكم بدعوى إعادة الوحدة، إلا أن البعثيين سيطروا على مقاليد الأمور وبقي يوسف مزاحم في الصف المعارض للحكم وحذر كثيراً من تسلم البعثيين للحكم في سوريا. وتمت ملاحقته من جديد وأذيع اسمه من بين أربعة أسماء مطلوبة لقاء مكافآت مالية لمن يرشد عنهم. واستطاع مزاحم الهرب عبر جبال وادي بردى إلى لبنان وبعدها إلى القاهرة ليواصل بعض العمل السياسي هناك ولكنه بدأ بالاتجاه نحو الترجمة وعلومها في القاهرة وخاصة بعد وفاة الرئيس جمال عبد الناصر. وقد اتبع الكثير من الدورات والندوات البحثية في فرنسا وسويسرا حتى بلغ مرحلة الإتقان للغة الفرنسية توّجها بترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية وهو عمل لم يقدّر له أن يرى النور بعد.

عاش يوسف مزاحم أكثر من خمسة وثلاثين عاماً من حياته بعيداً عن بلده لأنه رفض أن يقول "نعم" للمستبدين، وقد آمن في لحظة ما بالقومية العربية كغيره من أبناء جيله الذين عاشوا تلك الحقبة بكل أبعادها، وكان إيمانه بها مبنياً على قناعة راسخة وعمل بجد وإخلاص لأجلها، ولكن متغيرات السياسة لم تدع للمخلصين أو الصادقين مكاناً، وهكذا اعتقد أنه يغادر إلى مصر لأشهر معدودة فإذا بها عقود سرقت أجمل سنين حياته ولم تكافئه على كل جهوده في كافة المناصب التي تولاها فقد خرج صفر اليدين كما دخل ولم ينتفع ولو حتى بمنزل خاص له أو لعائلته لشدة تفانيه وإخلاصه.

تعرض مزاحم لمرض السرطان في البروستاتا وسافر إلى فرنسا للعلاج ولكن جسده لم يعد يستجيب للعلاج فيما بعد وعاد إلى القاهرة ومنها إلى بيروت حيث قضى أربعة أيام في مشفى الجامعة الأمريكية ببيروت ارتأى بعدها ولده أن يعود به إلى دمشق ليدخلها أول مرة بعد كل هذه الأعوام في سيارة إسعاف ولم يلبث أن توفي في 26 أيلول 1998 عن عمر يناهز السابعة والسبعين عاماً.

في أحد خطاباته مطلع عام 1960 أمام الرئيس جمال عبد الناصر في دمشق يقول:

"سيدي الرئيس

إن مدينة دمشق ولدت عند فجر الزمن فوق هذه الأرض الطيبة المباركة على سفح هذا الجبل الأشم، إن هذه المدينة ومن ورائها الإقليم السوري بأجمعه قد جلست منذ فجر الزمن تجس الشعوب وتقلّب المبادئ وتلعب بالمستبدين وتصيح بالظالمين حتى استقرت في نهاية المطاف على ألا تبيع حريتها إلا لله، وألا تمنح قلبها إلا للعروبة.. "

عن فناني الثورة السورية

ألـــوان بيـــن الركـــام

■ إعداد: عهد زرزور

ثار الشعب السوري، ولم تقتصر الثورة على السياسة وتغيير الرؤوس، بل تبدلت حال النفوس كثيراً، وتفجرت كل الطاقات الكامنة لدى هذا الشعب المقموع منذ 40 سنة حيث شُغل فيها عن جمال الحياة بلقمة العيش، ولم يُسمح له بأن يتعدى حدود المخابرات وقوانين النظام السابق فكل من تعدّاها أودع السجون أو طُرد خارج الوطن، ولكن.. الفن لا حدود حمراء له، فهو كائن هائج لا يلجم ولا يروّض ولا يحاصر..

كان الفن في الثورة السورية نتيجة ومؤثر، التقيت بثلاثة فنانين من فناني الثورة السورية، كانت الثورة قد فجّرت بركان الألوان داخلهم، فكرّسوا لها أفكارهم.. على الصورة والفكرة تصل إلى من يهمه الأمر وتخلد هذه اللحظات التاريخية..

طرحت عليهم عدّة أسئلة لنكون منهم ومن أعمالهم أقرب..

تحيا الثورة السورية.. يحيا الفن الذي تحيطه ويحيطها حتى في لحظات الموت..

وسام الجزائري

| بأعمالك بنلاحظ في إشارة للمدارس الفنية، عم تحاول تقارب بين المدارس الفنية القديمة ومدرسة الثورة، وهل صارت الثورة السورية مدرسة فنية بحد ذاتها؟

| | الثورة السورية أصبحت من أعظم المدارس الثقافة الانسانية الحديثة في القرن الواحد والعشرين لما فيها من معاني ومتناقضات وصراعات إنسانية بين الظلام المستبد ونور الحرية، لذلك أنا أحوال فقط نقل هذه المعاني الإنسانية إلى المجال البصري بإستخدام المدارس الفنية القديمة والحديثة.

| حكيت إنه عم ترسم 12 ساعة باليوم، ماتعبت من الرسم؟

| | طالما شعبي لم يتعب من الموت في سبيل الحرية.. انا لن اتعب في رسم هذه التضحيات العظيمة.

| شو أكتر لون بتحسو بيمثل الثورة، وعم يسيطر على أعمالك، وشوهو رمز الثورة بنظرك؟

| | الأخضر والأحمر.. الأرض والدم رمز الثورة بنظري هو الشمس التي مهما حاولوا إخفاء نورها لن يستطيعوا.

| ولما سألناه عن أكتر عمل قريب ع قلبه وبيعنيله..

| | قال: أكثر عمل قريب على قلبي مبارح خلصتو.. اسمه خلق سوريا.. اشلاء زملكا.. انا أكثر لوحة بحبها هي خلق أدم لمايكل انجلو.. وحبيت ابعت رسالة من هاد العمل أن في سوريا هناك خلق ادم جديد..

عمران الفاعور (IMRANOVI)

| عن مجزرة الحولة، كانت أول لوحة فنية بتصممها، شو اللي عم يغذيلك شريط إبداعك لحد هلحظة؟

| | مجزرة الحولة هية مو أول مجزرة بساويا النظام وبتتصور.. بس كانت أول مجزرة بشوف الصور تبعا.. بسبب اني مابشوف صور الأموات كتير لأنو بتتركني بحالة عجز كبيرة وحتى صرت اتمنى الموت من هالشعور.. فصرت ماشوف الصور كتير لأنو مابدي وأف عن الثورة حتى لو كان مجرد شعور فيا.. بس مجزرة أطفال الحولة تركت فيني ألم عميق حتى صرت وقت اسمع صوت أي طفل صير أبكي وأتخيل هالطفل مكان الاطفال المدبوحين.

من بعد هالمشاعر كلا.. صممت أول تصميم، اتخيلت من لعبة "الأربعة تربح" أنو بدال الدوائر تبع اللعبة.. اتخيلتون رؤوس أطفال مغمضين دليل عالموت وهن بحالاتون الطبيعية هن وعايشين.

ومن بعدا ساويت عدت تصميمات عن المجزرة بكل تصميم منون هناك الموت فقط، مع فكرة أنو بدي انشر هالشي للعالم.

بس وضع فكرة الموت فقط بالتصميم كانت محبطة ومؤلمة، فحاولت أنسى المجزرة وعبر عن القادم والمستقبل يلي بدنا يا لسوريا، وساويت تصميم لسوريا الجديدة عبارة عن مكعبات الليغو متعددة الألون ومتماسكة بسبب أنو كلا بتشبه بعضا بس بتختلف باللون.

من بعدا بلشت بالتصميم والتعبير عن خواطري باستخدام نمط رسومات "فيكتور" البسيطة والخالية من التفاصيل والمعبرة بشكل كبير.

الدافع لخيالي والمغذي ألو هو الثورة وكلشي أحداث مؤلمة بالدرجة الأولى عم تصير فيا، وصرت لازم شوف صور صعبة واقرأ اخبار مؤلمة لحتى احسن كمل.

| لمين بتوجه لوحاتك، وهل بتعتقد في مطرح للفن بين كل هل الألم؟

| | هلأ تصميماتي قسم منا أردت منو توصيل خبر ونشرو للعالم لياخدو فكرة رمزية عن يلي عم يصير بسوريا، وقسم هو الأغلب وهو تجسيد فكرة معينة الهدف منا رفع المعنويات أو التفائل بالقادم أو مجرد حلم بالمستقبل.

بحاول قدر الامكان جسد الفكرة بطريقة مفهومة للكل، بس بنفس الوقت فيا حركة معينة تحتاج للتفكير، يعني التصميم أغلب الاحيان كل واحد بحسن يعطي تفسيرو وتخيلو الشخصي للتصميم.

بحاول وقت صمم بعد عن النقط الخلافية كالسلمية والتسلح أو موضوع العلمين، وبحاول خلي تصميماتي عامة.

أكيد الفن ألو قاعدة مشاعر برتكز عليها وبيستمر منا، وبحالتنا ألم الغربة وألم الوطن كان سبب لكتير منا يكتشفو مواهبون، ربما الفن مايكون ألو تأثير بتخفيف الألم عن أهلنا بالداخل.

إذا الحياة هيك بتصير لا تطاق، ودور الفن هو دور روحي وعاطفي وهو برفع الهمة والتفائل بالقادم الأفضل لسوريا.

| بتعتقد في علاقة بين الكلمة والرسمة؟ ولأي مدى الرسمة بتحكي؟

| | برأي الكلمة والرسمة معنى واحد، الرسمة بالامكان قراءتا متل الكلمة، وبالامكان توصيل معلومة

بالرسمة متلا متل الكلمة، بس بظن أنو الرسمة ممكن توصل الفكرة أسرع وخصوصي اذا كانت عالانترنت، الكلمة ممكن توصل القكرة بس بطريقة تدريجية، أما الرسمة بتعطي أفكار كتيرة دفعة وحدة.

| ولمن سألناه عن أكتر عمل فني قريب لقلبه؟ وشو قصته؟ رد علينا:

| | الصراحة كل التصميمات حبيتون، مو لأنو تصميماتي أكيد، بس كل وحدة بتحمل مرحلة فكرية مريت فيها ولخصت عدة أفكار بتصميم واحد.

بس بظن أنو أكتر وحدة تأثرت فيا هية "كسوف"، وأت وصلت لهالتصميم مرأت بعدت مراحل للفكرة، كان بدي الفكرة تعبر عن حدث كبير هو المجزرة بطريقة او رمز انو العالم كلو شافو وهو كسوف الشمس، بس الكسوف ماحدث بمرور القمر، إنما حدث بمرور سكينة القاتل وغطى بالشر يلي عندو نور الشمس، والعالم كلو شاف هالشي، ظلال الالعاب كانت مؤلمة بالنسبة ألي هية تعبير بريئ عن حادثة من أبشع مامر عالبشرية.

أبو يعقوب

| في عمق سريالي بأعمالك، أديش بتحس المشهد السوري قريب من هلشي؟

| | السريالية بالأساس ولدت وخرجت من رحم الحروب والآلام.. وكانت بمثابة هروب من الواقع المؤلم وتمرّدا عليه، وهي بالنسبة لي عبارة عن لغة تخاطب بيني وبين المتلقّي، حروفها وأدواتها هي هذا الوجود بكل ما يحتويه من كينونات وتفاصيل قد يراها البعض بشعة أو غير مهمّة، ولكن قواعد هذه اللغة وطريقة ربطها وجمعها لهذه الحروف هي التمرّد على القواعد نفسها، فهي لاتخضع لمنطق الواقعية والعقل الواعي، ولكنّها تتجاوزه وتسمو عليه ليصبح الحلم واللاوعي هو الملاذ الذي يجمع بين حروفها، فتولد كلمات جديدة تخاطب ذلك الجانب المهمل من إنسانيتنا الضائعة تحت قواعد المنطق والنظام، فالسريالية هي الحريّة الصرفة بالنسبة لي، وهذا بالتأكيد ما أحس به و(ربّما) يحس به أغلب السوريين في هذا الوقت وهذا الزمن الذي أقل ما نستطيع وصفه (بالسرياليّ) في ظل هذا التواطؤ العالمي على ثورتنا الكريمة التي نادت بأبسط بديهيّة وأبسط حاجة من الحاجات الكثيرة التي تمليها علينا الطبيعة الإنسانية، ألا وهي الحريّة.

إذا فالسرياليّة تتشابه بنقاط كثيرة مع الواقع السوري الحالي في كونها وليدة حرب وألم، وهروب من واقع غير مفهوم يحكمه منطق(ظاهري) كاذب وغير مفهوم(على الأقل بالنسبة لنا نحن الشعب السوري)، هروب إلى حلم، إلى منطق نحن نصوغ قواعده، ونشكل كلماته بطريقتنا الخاصة، ونكهتنا السوريّة الخاصّة، منطق يتمرّد على هذا المنطق ويكسر كل قواعده التي اعتدنا أن نطأطئ لها الرؤوس، وهذا ما مثلته بأحد لوحاتي وهي لوحة الجمل الذي يستطيع أن يلج من سمّ الخياط.

| صفحتك إسمها فنون من قلب الفوضى؟ شو هو الفوضى بنظرك؟

| | كما أسلفت بالذكر، فالمنطق الجديد الذي أبغيه وأتلّمس أبعاده وقواعده التي لا قاعدة لها، هو منطق جديد يكسر هذا المنطق الظاهري الكاذب الذي كبّل كل شيء فينا، وكسّر كل أحلامنا وآمالنا، منطق لا يخضع لنظام من شأنه أن يلجم جوارحنا وأحاسيسنا أن تتكلم وتصرخ بأعلى صوتها: أنا إنسان ولدت حرّا وسأحيا وأموت حرّا رغما عن كل قواعدكم الكاذبة أيها المراوغون والكاذبون، فهذه الفلسفة السريالية التي ترفض كل نظام من شأنه أن يحدّ من حريتنا قد يحكم عليه من ينظر لهذه الحياه بمنظار المنطق الظاهري على أنّه فوضى، ولكنّه بالنسبة لي هو النظام الذي يجب أن يصبح فلسفة حياة لنا جميعا، فمن خلال كل تلك الفوضى الظاهرية هناك نظام وما أجمله من نظام، فكما الحلم وبالرغم من عدم منطقيّته وفوضويّته وسرياليّته إلّا أننا نشعر بلذة عظيمة حين ندخل أغواره اللامنتهية، ونغوص بأعمق أعماقه، ليصبح المستحيل ممكنا، فحتى أبشع كوابيسه تحمل بين طيّاتها شيئا من اللذة المجرّدة، فكثيرون هم اللذين ينامون ليستيقظوا في قلب هذه العوالم الفوضوية والتي تبدو لنا في قلب الحلم هي ذروة المنطق والنظام، فلاندرك فوضويتها ولا منطقيتها إلا حينما نستيقظ (برأيي ننام)، فالسريالية هي الوحيدة القادرة على دمج الحلم بالواقع وكسر هذا الحاجز البرزخي الذي يفصلنا عن أحلامنا.

| كل فنان عنده ملهم يلهمه أعماله وجرح أو فرح يخلي يفيض.. شو هو مصدر إلهامك؟ وهل للحب نصيب من ثورة ريشتك؟

| | أنا برأيي أنّ الألم هو شرط لازم ولكنّه غير كافي على الإطلاق لكي يبدع الإنسان بفنّ ما، فالإنسان بشكل عام هو عبارة عن كتلة من الأحاسيس والمشاعر الموقوتة والتي يعبّر عنها بلغة الفيزياء (التوازن القلق)، فهذا التوازن القلق بحاجة (لدفشة) أو صاعق (بلغة الجيش الحر) لكي يتفجّر فيفيض ما بداخله مكتسحا كل ما حوله، فإن كان ما يحتويه وردوا وألوان سيحيل ما حوله لروضة غنّاء، وإن كان ما يحتويه أشواكا وظلام سيحيل ما حوله لخراب تذروه الرياح، وهذا (الصاعق) أو (الدفشة) (عذرا على التشبيه)هو الحب. فحينما يجتمع الحب والألم على وطن يموت أمام أعيننا في كل لحظة، فلابدّ أن يكون الإبداع نتيجة حتميّة لا ريب فيها.

| شو أكتر عمل قريب ع قلبك وبيعنيلك؟

| سؤالك شوي صعب، لأن أعمالي كلّها غالية على قلبي ولكل منها قصة وحكاية، ولكنّ الأجمل والأغلى بدون شكّ هي لوحة تلك الفتاة الصغيرة التي تحمل بيد دميتها، وتضع يدها الأخرى على ذلك الحائط الذي يحتوي في تشقّقاته صورة كل من عبدالباسط ساروت وفدوى سليمان وعلم الثورة السورية وخارطة حمص عاصمة الثورة وقلبها النابض، وقد تفاجئت من الإنتشار الرهيب لهذه اللوحة على صفحات الإنترنت، والكم الكبير من المواقع العربية وحتى الأجنبية الذي استخدمها كخلفية لمقال عن الثورة السورية، وإنشاء الله سأكون دائما عند حسن ظن كل من وثق بفنون من قلب الفوضى وأحبّ ما نسعى أن نوصله من أفكار نتمنى أن تكون بمثابة الشيء الجديد والراقي والذي يجب أن يكون شعارنا في سوريا الجديدة. سوريانا الحرّة.

نشر أيضاً في موقع كبريت

دمشق وحكايات جدي..

ماذا نروي لأحفادنا عن اليوم؟

■ محمد العطّار

ليس هذا مجالاً لاستذكار جدي الذي قضى منذ سنوات قليلة عن تسعين عاماً ونيف، فكلما شرعتُ في الكتابة عنه تذكرتُ أن هناك أموراً أكثر إلحاحاً اليوم، لكن ما العمل إن كانت حكايا الأجداد وذكرياتهم عن المدينة هي المدينة بالنسبة إلينا؟

"عاش جدي ليروي" لكن من دون مستمعين كثر. عاش في دمشق، ومعها. شهد استقلالها الأول ثم هرم وشاب قبل أن يذبُل تماماً مع احتضار نهرها بردى. ابن ساروجة، وزّع حبه بالتساوي بين أحياء دمشق العتيقة وغوطتها ومصيفها الأثير الزبداني. وأنا ورثت عنه الحب نفسه، من دون أن تبقى الأماكن نفسها. كانت أكثر شحوباً وأقل خضرةً بازدياد، الاسمنت الرمادي البارد يأكلها بالتدريج، وأزقتها تكتظ بكل أشكال التلوث البصري.

في سوريا الثورة، وفي كوادر صور التظاهرات، تُدهش وأنت ترى أين يعيش السوريون وكيف، في بداية العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين. مخالفات وعشوائيات وطرق ترابية وأخرى مهترئة، ليس هذا في القرى والمدن النائية فحسب، ولكن في ضواحي كبريات المدن، وحتى في قلبها. هل هذا ما يستحقه السوريون فعلاً؟ أين تذهب مقدرات بلدهم؟ في الأسابيع الأولى من الثورة كنتُ أحسب أن هذه المشاهد ستبدد أي شك بضرورة الثورة. كان السؤال الوجيه: لماذا تأخرت؟ بدأتُ أفهم أكثر اغتراب جدي عن مدينته قبل رحيله. بدأت أفهم لماذا توقفت ذكرياته عن المدينة عند مطلع ثمانينات القرن المنصرم.

إذا كان جدي عاش ليشهد كيف تُسرَق روح المدينة، كما مواردها، فإني اليوم أفكر أن رحيله الهادئ وفّر عليه مشقة أن يرى كيف تُدَكّ دمشق وغوطتها ومصيفها الزبداني وكيف تدمَّر الأحياء وينزح أهلها. هل كان ليقوى على مشاهدة حقول الصبارة المزاوية المُعمرة تُزال بالجرافات؟ هل كان قلبه ليحتمل المشاهد القادمة من بساتين داريا ومزارع الزبداني؟ الآن فقط أفكر كيف يكون مصطلح "الموت رحمة" أحياناً بليغاً ومعبراً.

كيف كان لجدي أن يفهم تحليق المروحيات وهي تلقي بحمولتها هنا وهناك على أطراف المدينة، أو أن يحتمل منظر سحب الدخان المتصاعدة فوق أحياء القدم وبرزة؟ لا أزال أذكر كيف ظل حائراً حيال ما حل بسوق الخجا الشهير الذي طاولته أيادي التحديث الحكيمة والأمينة وليس القنابل (وإن كان الأثر الجمالي يتشابه أحياناً). لم يقبل البتة الذهاب إلى السوق الجديد، ثم اكتفى لاحقاً بربوة دمشق ومصايفها التي تسكن أرشيف صوره، لا تلك البقايا الشاحبة المتناثرة على ضفاف نهر محتضر. انكفأ جدي وانكمش جسّده رويداً رويداً في سنواته الأخيرة. كان دوماً يردد على مسامعي جملة لم أدرك معانيها في حينه: "لا أنتمي إلى هذا الزمن، لو أنني رحلتُ قبل هذه الأيام لكان ذلك أفضل لرجل مثلي". كنتُ أعتبر هذا الكلام محضّ استسلام للشيخوخة. اليوم وبقسوة تتفوق على الحنين، أشعر بالراحة لأن جدي رحل قبل أن يرى مدينته تُقصَف وتُقطع أوصالها على أيدي إخوة لنا في الوطن. أشعر بالراحة لأنه لن يرى دوما وقد سوِّيت أجزاء منها بالأرض. دوما التي حدثني عن نخوة أهلها كثيراً، هي نفسها كانت أول ما ذكّرني به في مطلع الثورة، حين زرتُها معزيّاً بفوج شهدائها الأول. في خيمة العزاء المهيبة، استمعتُ الى كلمات السيدة منتهى الأطرش وهي تشدّ أزر أهل دوما وتروي لهم كيف حدّثها أبوها سلطان باشا الأطرش مراراً عن سند أهل الغوطة الشرقية له وشجاعتهم المذهلة أثناء الثورة السورية الكبرى، وجدتُ نفسي أذوب في الهتاف الهادر في العزاء: "الشعب السوري واحد"، التفتُّ حولي لأرى شاباً صلباً يذرف الدموع، أشحتُ بنظري بسرعة قبل أن تصيبني العدوى، حينها تذكرتُ جدي وتمنيتُ لو كان بجانبي ليرى كيف يعيد التاريخ إنتاج نفسه بصور بهية. كان عندي قصة مؤثرة يومها، ووددتُ أن ألعب دور الراوي معه ولو لمرة، ووددتُ أن أخبره أن هذا الزمان لم يعد غريباً عليه كما كان. اليوم، وأنا أطالع أخبار دوما وصورها، يعاودني إحساس الرضا برحيله.

جدي الذي اختبر الاحتلال الفرنسي، وتشكّل وعيه الوطني في جريدة "القبس" التي أسسها نجيب الريس، فعمل معه وحفظ القصص منه وعنه، روى لي الكثير عن جرائم الفرنسيين، وعن قصفهم الهمجي لدمشق، وعن تعاضد السوريين وثورتهم الكبرى، وعن إضرابهم الذي شارك فيه اللصوص حين حموا المحلات التي كسرت أقفالها لإجبار التجار على رفع الإضراب. حدّثني أيضاً عن رجالات الاستقلال. لطالما استعرض بفخر أرشيف صوره الأبيض والأسود، متباهياً بندرة اللقطات. لكنه لم يحدّثني قط عن شيءٍ يشبه الشبّيحة، ولم يذكر سجوناً تشبه أقبية فروع الأمن، ولم يعرض عليّ صوراً لدمار يشبه الدمار الذي نراه اليوم في طول سوريا وعرضها. لم يرَ الفرنسيين إلا كمحتلين، لكن حدود معرفته بوحشيتهم كانت واضحة وصريحة: فعلوا هذا ولم يفعلوا ذاك، الأمر كان واضحاً.

ماذا نروي لأحفادنا إذاً؟ وأيّ صور نعرض عليهم؟ لدينا الآن أرشيفٌ حافل بالدم، ألوف الصور بالألوان وبالصوت والصورة هذه المرة. أيّ حكايا نرويها عن ظلم ذوي القربى، وأيّ مُدنٍ نورثهم إياها؟ ماذا يترك لنا الطاغية لنروي؟ كيف يحوّل الطاغية أبناء البلد جلّادين أشد قسوة من الغرباء؟ كيف يشوّه مدناً ضاربة الجذور في الوجدان، كما التاريخ؟

وحشية الطغاة تحملنا عبء ذاكرة الألم، حتى عندما يرحلون وتلعنهم حكايانا، تبقى ذكرياتنا مثقلة بالوجع وبقصص تثير الغصة كما الغضب. كم من الأسئلة الصعبة التي ستواجهنا – إن عشنا لنروي – عن حاضر دموي، وعجز وصمت وخوف طال أمدها؟

لا مخرج لنا إلا أن تُساهم سرديات "أجداد المستقبل" في خلق مدن جميلة للأحفاد القادمين، وأن تروي لهم قصصاً حول ماضٍ قاس تجاوزنا تبعاته، وحول منزلقاتٍ خطِرة دفعنا إليها المستبد ليفتت وحدتنا ويبقى هو، لكننا تجنّباها. لا أمل لنا إلا بأن يصغي الأحفاد لهذا كله، كقصص ما قبل النوم، بابتسامة مطمئنة، لأنهم يعيشون في بلدٍ أحسنَ أجدادهم حمايته على رغم كل الصعاب. الحق، إلى جانب ذاكرة الوجع، وصور الهمجية، يملك أجداد المستقبل منذ الآن حكايا عظيمة لتُروى، يملكون قصصاً عن التضحية والبسالة وعن شجاعة نادرة لأناس خرجوا يطلبون الحرية في وجه الرصاص الحي، حكايا غيّاث مطر وحيّان المحمود وباسل شحادة، قصص عن سوريين متنوعين ومختلفين ناضلوا وعُذبوا وعشقوا وهم يمضون معاً في درب الحرية، قصص مدنٍ تداعت تحت القصف، قصص عن كفرنبل وبنش وعامودا وقرى أخرى نائية أعدنا اكتشافها، وأعادت إلينا الثقة بسوريا.

لأجل هذا كله، يجب أن نُتمّ الفصل الأخير من الحكاية التي سنرويها مستقبلاً. لعله أصعب الفصول وأعقدها. لكن الحكاية كما المستقبل الذي ستُروى فيه، تستحق هذا كله. وأكثر.

النهار 4 / 8 / 2012

في الشام مرآة روحي | لوحة لمنير الشعراني

محمد البسيوني: دولة الفيس بوك

■ ياسر مرزوق

قبل البدء في قراءتنا لكتاب اليوم لابد أن نذكر أنه نشرَ قبل ولادة الربيع العربي وانتشاره تدريجيا، لذا يخلو الكتاب من ذكر الأثر السياسي والوطني الذي تركته شبكة التواصل المذكورة على الوطن العربي بأسره، وذلك من خلال كسرها للمحظورات التقليدية "حق إبداء الرأي، حق التجمع والمشاركة في صنع القرار". إلا أنه يشير لإرهاصات الحراك السياسي والمجتمعي في مصر.

هي قصة لدولة عظمى لا يفوق عدد سكانها قاطني الولايات المتحدة فقط بل أنها تنعم بتعددية ثقافية ولغوية وعرقية لا يمكن مقارنتها بأي دولة أو إمبراطورية عرفها التاريخ الإنساني. إنه موقع التواصل الاجتماعي الشهير فيس بوك الذي وصل عدد مشتركيه النشطين، مؤخراً، إلى 500 مليون شخص. وتقدم قصة نجاح الفيس بوك وتحوله إلى ظاهرة اجتماعية وسياسية وثقافية دليلاً على الدور المتعاظم الذي تلعبه ثوره الاتصالات في عالمنا المعاصر. ربما لم يكن "مارك زوكربرك" ورفاقه من طلاب كلية علوم الحاسب الآلي بجامعة هارفارد الأمريكية يدركون أن الشبكة الاجتماعية التي أسسوها عام 2004 لطلبة الجامعة العريقة ستتحول إلى ظاهرة اجتماعية انتقلت من الجامعات والمدارس الأمريكية إلى العالم أجمع.

وتتلخص فكرة عمل الفيس بوك في أنه يتيح لمشتركيه الاطلاع على بيانات وصور ذويهم وأصدقائهم وتوسيع دائرة معارفهم. وبدت هذه الفكرة براقة ومنسجمة مع روح العصر حيث يقضي الملايين من البشر العديد من الساعات يومياً خلف شاشات الحاسب الآلي سواء لأغراض العمل أو الترفيه. وجاء الفيس بوك ليقدم لأولئك القابعين خلف شاشات الكمبيوتر الفرصة للتواصل مع الأصدقاء والأقارب وإقامة علاقات صداقة جديدة بل وعلاقات عاطفية أيضاً. حيث شهدت خانات تعليقات الصور الكثير من عبارات الغزل.

ومثلما أوجد جسراً بين التكنولوجيا والحب، فإن الفيس بوك تمكن أيضا من ربط التكنولوجيا بالسياسة. وهكذا أصبح الفيس بوك مقصداً للعديد من المشتركين الذين وجدوا فيه متنفساً للتعبير عن آرائهم السياسية التي أحياناً لا يستطيعون الجهر بها. ولم تتوقف العلاقة بين الفيس بوك وعالم السياسة على كونه أداة للتعبير بل أنه تحول إلى أداة من أدوات العمل السياسي بحيث صار وسيلة لحشد الجماهير والتحركات المعارضة خاصة في البلدان التي تعاني من ضيق هامش الحرية وتعثر الحياة الديمقراطية ودخلت القاموس السياسي مصطلحات جديدة مثل الناشط الالكتروني وحروب المدونات.

الفيس بوك الموضوع الأكثر شعبية وإثارة للجدل هذه الأيام.. وأصبح علامة على العصر.. ومجتمعًا داخل المجتمع.. بل ودولة داخل الدولة.. تدور على صفحاته كل أنواع الحوار.. وفي شتى المجالات: السياسة والدين والاجتماع والفن والرياضة والأدب الساخر ولكنها جميعًا تدور بلغة مختلفة.. طازجة.. تعبر عن جيل جديد ينظر للكتابة بشكل مختلف حيث الكل يمكن له أن يكتب.. والجميع يبحث لنفسه عن نافذة تخصه..

كما بات مؤكداً أن مواقع التواصل الاجتماعي قد غيرت بشكلٍ أو بآخر حياتنا الفكرية والنفسية إذ أضحت هذه العوالم الافتراضية التي نتعاطى معها يومياً تشكل حيزاً كبيراً في حياتنا الاجتماعية والتي لا شك بأنها نقلت حياتنا كشباب عربي من مرحلة إلى مرحلة أخرى أحدثتها متطلبات الحداثة والعصرنة التي أخذتنا إلى أن نكون في قلب آلياتها ومفرداتها.

أصبح التدوين عبر هذه الشبكات، وهي امتداد للمدونات، متنفساً حقيقياً لكل الشباب العرب، بوصفه عالماً آخر غير الذي نعيشه على أرض الواقع، وفي تزايد كبير لا يمكن تجاهله كشفت عنه دراسة حديثة أجرتها جامعة هارفارد من أن غالبية المدونين في الشرق الأوسط من الشباب، الذي استطاع اختراع هوية خاصة به لا علاقة لها بسجل مدني تسلسلي، أو برقابة اجتماعية أو قانونية، لطرح مواضيع ونقاشات طالما تجاهلها الإعلام والمجتمع.

كتاب "دولة الفيس بوك"، الصادر مؤخراً عن دار الشروق، يتناول فيه "محمد البسيوني" ببعض التفصيل عدداً من "الجروبات" أو المجموعات الموجودة بالموقع، فقد قسم الكتاب إلى فصول، في الفصل يستعرض نشأة الفيس بوك فيقول بدأت قصة "الفيس بوك" من خلال شاب أمريكي اسمه "مارك زوكر" في العام 2004 وكان عمره وقتها 19 عاماً، كان مارك شاباً اجتماعياً، درس في جامعة هارفارد الأمريكية، وأراد أن يؤسس موقعاً يلتقي فيه أصدقاء الجامعة. أعجبت الفكرة زملاءه الجامعيين، فانضموا إليها، ثم انضم إليها في ما بعد زملاؤه في المدرسة الثانوية. ومنذ العام 2006 كان العالم كله مشغولاً ب "الفيس بوك" إذ وصل عدد أعضائه إلى أكثر من مليارين، فأدرك خبراء التسويق أن إعلاناً في "الفيس بوك" أفضل من أية وسيلة إعلانية أخرى، وبعد أن زاد الطلب على الموقع، تضخمت حافظة إعلاناته، حتى إن سعر الموقع وصل إلى حوالي عشرة مليارات دولار.

ثم ينتقل ليتناول نوعية معينة من الجروبات، وهي: "الجروبات الاجتماعية، الجادة، الدينية، السياسية، الفنية، الأدبية، الرياضية. كما يذكر الكاتب في نهاية الكتاب الجروبات التي جمعت أكبر عدد من المشتركين والروابط الخاصة بالجروبات الذي تحدث عنها في الكتاب.

يقول محمد البسيوني إن الفيس بوك أصبح حالياً موقعاً لا يمكن إغفاله، فهو الآن حقيقة واقعة وجزء من ثقافة العالم الذي نحن جزء منه بالطبع، ولهذا فإن اتهام الفيس بوك بأنه وسيلة تجسس كما يدعى البعض، أو محاولات حجب الفيس بوك أو منعه، هو من قبيل محاولة منع السكاكين من المطابخ لأنها قد تستخدم في القتل، خصوصاً أن تبادل المعلومات لم يعد أمراً صعباً منذ اختراع البريد الإلكتروني و ليس فقط بظهور الفيس بوك، كما أنه ليس صعباً على أي شخص أن يبدأ حديثاً آخر مع دولة أخرى دون أن يصرح ببلده الحقيقي، ولم تعد هناك قيود على هذا الحديث.

كما يوضح الكاتب العلاقة بين الفيس بوك و المدونات، فهو يعتبر كوسيلة لعرض للأفكار امتداداً لفكرة المدونات، بعد اكتشاف المدونين أن الفيس بوك قد زاد الإقبال عليه لأنه يعتبر الأشهر الآن، كذلك المدونات انخفض الاهتمام الإعلامي بها وإن كانت مازال لها تأثير وتعتبر مكاناً جيداً للقراءة ومتابعة الأخبار.

يكشف الكتاب أن بداية الاهتمام المصري بالإنترنت سبقت ظهور "الفيس بوك" بصفته أحد أكثر المواقع شعبية، وبالتحديد مع ظهور حركة التدوين، التي صنعت قفزة في عالم الإنترنت، فلم يعد العالم الافتراضي مجرد مادة صماء مخزونة على الشبكة، بل أصبح ملتقى للأفكار والنقاش وتبادل الآراء.

يقول بسيوني: "تمثلت الإضافة الفعلية للمدونات في أمرين، أولاً: تقديم عدد كبير من الكتّاب، أغلبهم شباب، لا يتجاوزون الثلاثين عاماً، يكتبون عن موضوعات حية وطازجة ومعبرة بشكل واضح عن جيل جديد يريد أن يكسر تلك الهيبة التاريخية لفعل الكتابة نفسه، والتعامل مع الكتابة كشأن عادي يومي يتناول الاجتماعي والسياسي واليوميات ويتداخل فيه المكتوب والمسموع والمرئي".

الأمر الثاني الذي يشير إليه بسيوني هو أن حركة التدوين "أتاحت إمكانية التواصل المباشر بين القارئ والكاتب، عبر تعليقات القراء، ما ساعد في تكوين مفهوم جديد للعلاقة بين الكاتب وقارئه، أسهمت في كسر الفجوة الشاسعة التي فصلت بينهما" وهذه الملاحظة دقيقة إلى حد كبير، حتى إن بعض مواقع النشر الإلكتروني للكثير من الصحف، استخدمت هذه الخدمة، تحت ما يسمى "الموقع التفاعلي" وهذه إحدى ميزات حركة التدوين، حتى إنك تستطيع أن تعرف كم قارئاً تعاطى مع مقالك أو موضوعك.

وحسبما يذكر الكتاب فإن أعضاء حزب "الفيس بوك" أو دولته، كما جاء في العنوان، وصل إلى مليوني مصري، ومن خلاله وجد أصحاب الإنتاج الثقافي آلاف القراء المتفاعلين مع ما يكتبه، ومن ثم تمت إعادة صياغة العلاقة بين الكاتب والقارئ، فظهر الكاتب غير مقرون بحالة من الإبهار، وأصبح يعرف رأي قرائه بشكل مباشر، مع إتاحة إمكانية أن يطور أفكاره وفقاً لآرائهم، إذا لمست وتراً بداخله. ويذكر الكتاب أن سر نجاح "الفيس بوك" هو قدرته على تصنيف أعضائه، وليس مجرد ربطهم ببعض، لقد استطاع أن يجمع في موقع واحد كل ميزات التواصل على الإنترنت، منذ الشات والمنتديات حتى المدونات، بل انه استطاع أن يضيف إليها الكثير، وكان سر نجاح "الفيس بوك" هو قدرته على إتاحة فكرة المجموعات لأصحاب الفكر والنشاط المتقارب أو الهوايات المشتركة، على عكس "الشات" الذي قد يضطرك لمقابلة أشخاص غريبي الأطوار.

يضم الكتاب عدداً كبيراً من الموضوعات، التي جمعت شباباً لهم ميول وأفكار متقاربة، وقد حاول في اختياراته أن يبرز وجهات النظر المختلفة، ليعرض الرأي والرأي الآخر. وحول ما أشيع عن إمكانية التجسس على المجموعات من خلال الفيس بوك، فإن الكتاب يرى أن الأمر مرتبط بطريقة التعامل معه، فأنت بمجرد الضغط على زر قبول صداقتك، ستتلقى تقريراً يومياً عمن يصادق، وإلى أي المجموعات ينضم، وما يكتبه من موضوعات، ومتى يضحك ومتى يغضب.

لابد في الختام من الإشارة إلى الدور الجوهري الذي لعبه الفيس بوك في إضراب "السادس من نيسان" في مصر.

طباشير الحرية...
ترسم سوريا المستقبل بألوانها

■ أجرت الحوار: سعاد يوسف

في ظل العنف المتصاعد في سوريا، وأصوات المدافع والطيران والتي أصبح من المعتاد أن ننام ونستيقظ على وقعها كل يوم، من المفاجئ والملفت للنظر أن نجد مجموعة من الشباب والشابات والذين لا زالوا يؤمنون بأهمية العمل السلمي والحراك المدني وقدرته على خلق نواة لمجتمع جديد يحلمون به كل يوم.

هذا ما وجدته لدى لقائي مع عدد من الأشخاص الذين يعملون ضمن مجموعة أطلقت على نفسها اسم "طباشير الحرية"، وأجريت معهم حواراً أقل ما يمكن لي أن أقول عنه إنه كان ممتعاً ويبعث على التفاؤل بشباب سوريا المستقبل.

| كيف بدأت فكرة المجموعة وكيف تطورت هذه الفكرة؟

| | تأسست "طباشير الحرية" في شهر رمضان الماضي أي منذ ما يقارب العام. وقد بدأت الفكرة من رغبة مجموعة من الشبان والفتيات في المشاركة في الحراك الثوري بأية وسيلة كانت، "الخروج في المظاهرات لم يكن ممكناً وسهلا للكثيرين، فما العمل؟ لا نريد البقاء مكتوفي الأيدي لا يسعنا سوى الجلوس في المنزل ومشاهدة نشرات الأخبار. لدى الكثير منا طاقات هائلة للعمل وأحسسنا أن علينا توجيه هذه الطاقات لخدمة الثورة وخدمة سوريا.

وهكذا انطلقت فكرة المجموعة وبدأنا العمل فيها والمشاركة في نشاطاتها، كل حسب مقدرته ووقته. أول نشاط للمجموعة كان في الجامعات على اعتبار أن معظمنا من طلاب الجامعات، ثم توسعت نشاطاتنا لتشمل مجالات وأماكن أخرى."

كتب أفراد المجموعة في صفحتهم على موقع التواصل الاجتماعي "الفيسبوك": "قد نشعر بالاختناق للبعد الذي لم نختره، وقد يلفنا الألم ونحن نمسك القلم بوقت لغته البندقية، وتحريره العمل لا القول !!

وقد تضيق علينا الدنيا بما رحبت، وتضيق علينا أنفسنا، ولا نملك إلا فيض دمع!!

لكننا نعود ونسترجع، ونتذكر أننا أينما كنا حتماً لنا دور!"

| من كان وراء بداية المجموعة؟ وكيف تتم عملية إضافة الأعضاء؟

| | بداية المجموعة كانت بشكل أساسي فكرة شابة من الفتيات الناشطات في الثورة، أنشأت المجموعة وأضافت إليها مجموعة من صديقاتها الراغبات في المشاركة في نشاطات لها علاقة بالثورة لكن لا مجال لديهن للخروج في المظاهرات إما لأسباب تتعلق بالعائلة أو بظروف العمل، وكل بدوره أضاف مجموعة أخرى من الصديقات والأصدقاء.

كل الأعضاء يستطيعون إضافة أي صديق يثقون به تماما ويرغب في المشاركة في نشاطات المجموعة، كما يرحبون بأي صديق جديد لديه أفكار جديدة ومهمة يمكن لها أن تغني الحراك الثوري.

| لماذا اخترتم هذا الاسم بالذات للمجموعة؟ عن ماذا يعبر الاسم؟

| | نحن نحس بأننا كالطباشير. نستطيع أن نرسم بأيدينا الكثير من الأشياء. نستطيع أن نرسم أفكارنا وأن نرسم سوريا الحرة التي نحلم بها.

أيضاً من صفحة المجموعة على الفيسبوك:

"كل واحد فينا طبشورة وكل طبشورة إلها لون... هي الطباشير مع بعضها رح ترسم سوريا الجديدة...

بطبشوراتنا كتبنا.. ثورة.. وأحلى نصر اتمنينا ^_^

خلينا نرسم على لوح طبشور كل فكرة حلوة عملناها لثورتنا"

| كم هو عدد الأعضاء الآن؟ هل هم متقاربون في أعمارهم، وتفكيرهم، ونشاطاتهم؟

| | عند بداية تأسيس المجموعة كان عدد الأعضاء لا يتجاوز الخمسة والعشرين، أما الآن فهو يفوق المئة شاب وفتاة، وهم من أعمار متقاربة.

يختلف أعضاء المجموعة في آرائهم السياسية وفي طبيعة نشاطاتهم، فمنهم من يخرج في المظاهرات بكثرة ومنهم من يشارك في نشاطات أخرى. كما قد يختلفون بالتأكيد في طرق تفكيرهم ونظرتهم لكل ما يحدث الآن في سوريا ولمسار الثورة وما آلت إليه في الأشهر الأخيرة. إلا أن مجموعتنا ليست مكاناً للنقاش أو الاختلاف، فنحن وُجدنا فيها للعمل فقط وما يجمعنا هو رغبتنا في دفع الحراك الثوري نحو الأمام والعمل على انتصار ثورتنا المجيدة.

| ما هي آلية عمل المجموعة؟

| | نحن نقوم بطرح فكرة ما ضمن المجموعة ونتفق على النقاط الأساسية اللازمة لتنفيذ هذه الفكرة (مثل طباعة وتوزيع منشورات)، ثم نقوم بتقسيم العمل إلى مهام محددة ونوكل كل مهمة إلى فريق يتكون من عدة أشخاص (مثلاً فريق لطباعة المنشورات وفريق لعملية القص وفريق آخر لعملية التوزيع). يختار

كل فرد الفريق الذي يود الانضمام إليه وذلك حسب إمكانياته ورغبته والوقت المتاح لديه وكذلك مكان سكنه. ما من فرد مجبر على القيام بمهمة لا يريدها أو لا قدرة له على المشاركة فيها، فعملنا تطوعي بالكامل وتنفيذنا لأية فكرة يعتمد على حماسنا ورغبتنا فيها لا غير.

كما أننا نتعاون مع مجموعات أخرى في تنفيذ مشاريع قد تكون كبيرة وتحتاج إلى جهد مشترك بين عدد كبير من الأشخاص. فنحن لسنا منغلقين على أنفسنا بل نرحب بالتشارك وبالأفكار المبدعة من أية جهة كانت.

| ما هي نشاطات وأعمال المجموعة الأساسية؟

| | يعرف أعضاء المجموعة عن أنفسهم على أنهم "مجموعة لدعم الحراك السلمي في دمشق بالأفكار والمشاريع التي من شأنها دعم الثورة نحو النصر."

تركز المجموعة في نشاطاتها على الأعمال السلمية والفنية والتي تعتمد على الطاقات الشبابية مثل طباعة صور الشهداء، طباعة وتوزيع مناشير، زيارة أهالي الشهداء وتقديم الدعم المعنوي لهم، توزيع هدايا مثل صرر ملبس في الأعياد، حياكة أعلام استقلال...

وتقوم المجموعة بنشر ملخص عن كل نشاط تقوم به على صفحتها على الفيسبوك إضافة إلى صور لهذه النشاطات إن وجدت. فنستطيع أن نجد في صفحتهم ما كتبوه عن بعض عمليات التوزيع التي قاموا بها:

"قام طباشير الحرية بتوزيع قصص الشهداء على البيوت في مختلف أحياء دمشق"

"في منطقة الميسات ورغم التواجد الأمني الكثيف قامت طباشير الحرية البارحة الأحد 6/24 بتوزيع سيديات تحوي فيديوهات عن الثورة".

كما أنهم ينشرون عن زياراتهم لبعض عوائل الشهداء:

"في سوريا... يعانق المسجد أجراس كنائسها... ويختلط دم أبنائها من جميع الملل...

على تراب أرضٍ عشقوا فيها الحرية...

أما الظلم.. فلا يعرف ديناً أو مذهباً... والظالم لا يعبد إلا نفسه...

تعبيراً منهم عن إخلاصهم لإخوتهم المسيحية ورفضهم للظلم ونشر الفتن...

قامت مجموعة طباشير الحرية بزيارة لعائلة الشهيد باسل شحادة..."

لقاء مع أم لشهيد من دمشق...

"قتلتها الله يرحموا ويجعل مثواه الجنة..

قالتلي صحي ابني مات وخسرتو..
وكتير كنت زعلانة عليه..
بس بعد التشييع اللي صار لابني حسيت انو عن جد ابني عريس..
قالت الشباب وقت أجوا لتحت بيتي وصاروا يقولوا أم الشهيد نحنا ولادك..
عن جد حسيت أنو الكل ولادي..!!
قمت نزلت لعندهن.. ركدوا علي وصاروا يبوسوا إيدي..
بعد هالموقف شلون بدكن ياني أزعل وقول أنو ابني مات..!!
أنا بالدنيا
كل شباب الشام ولادي.. وبالآخرة ابني بالجنة إن شاء الله..
والحمدالله على اللي صار مع ابني خلاني شوف شباب الشام ونخوتها..
وأنا الله مانعم علي ومصبرني.. وعم أطلع مظاهرات..
وابني الوحيد عم يطلع مظاهرات.. ومالي خايفة.. لأنو ما حيصير إلا اللي الله كاتبو...

هون أنا كنت منزل راسي وعيوني مدمعة..
أجت رفعتلي راسي ومسحتلي دموعي..
وقلتلي متل مالي شايفتك هلأ.. متأكده أنو النصر قرب.. وقرب كتير كمان..
والابتسامة ما راحت من وشها أبداً طول القعده..
....
واللّه العظيم اشتهيت الشهادة :(
اللّه يطعمها لكل مشتهي.."

| هل هناك أي مصدر تمويل للمجموعة؟ كيف لكم أن تمولوا مشاريعكم؟

| | نحن نعتمد على التمويل الشخصي والفردي فقط. عندما نريد البدء بمشروع ما نحسب التكلفة اللازمة له ونقوم بجمع المبلغ اللازم من أفراد المجموعة أو من أصدقائهم. مشاريعنا في مجملها لا تكلف الكثير، فنحن نشجع المشاريع الصغيرة التي لا تتطلب تمويلاً كبيراً لكننا ننظر إليها على أنها ذات تأثير كبير على الأرض.

| كيف ينقسم نشاط المجموعة؟ على الأرض وعلى الفيسبوك؟

| | الفيسبوك هو وسيلتنا الأسهل للتواصل. نحن نقوم بالتخطيط للمشاريع والتواصل مع بعضنا عن طريقه، إلا أن تنفيذ الأعمال يجري حتماً على الأرض بسبب طبيعة نشاطاتنا.

الفيسبوك أيضاً هو وسيلة للإعلان عن نشاطاتنا حيث أننا أنشأنا صفحة نضع فيها ملخصاً عن هذه النشاطات ونود أن يصل للجميع كي يعرفوا كل ما نقوم به وما نفكر ونحلم به لسوريا المستقبل.

| كم هي مهمة المجموعة بالنسبة للأعضاء وكم تأخذ من وقتهم؟

| | نحن نعتبر المجموعة كبيت عائلي يتعاون فيه الأعضاء ويجدون فيه الكثير من المتعة بسبب الجو المتعاون الأخوي والمريح للجميع، وذلك يدفعهم للمشاركة في نشاطاتها المتنوعة وإعطائها الوقت الكافي لإنهاء المشاريع في الوقت المناسب.

| ما هي رؤية المجموعة المستقبلية؟

| | نحن ننظر إلى هذه المجموعة على أنها نواة لمجموعة مدنية في سوريا المستقبل، سوريا الحرة. ونريد أن نستمر في القيام بمشاريع تساهم في بناء بلدنا من جديد على أسس من الديمقراطية والحرية واحترام الآخر.

ونحلم بأن تضم المجموعة في المستقبل الكثير من الفتيات والشبان ذوي الطاقة الإيجابية والذين يرغبون في العمل ولديهم الحماس الكبير لذلك.

تقول فتاة من المجموعة وهي واحدة من مؤسسيها: "أنا شخصياً أتمنى أن نخصص جزءاً كبيراً من جهدنا ومشاريعنا في المستقبل لتطوير المجال التعليمي الذي يحز كثيراً في نفسي ما وصل إليه في ظل النظام الحالي."

| ما هي سوريا التي تحلمون بها؟

| | سوريا الحرة التي تُحترم فيها كرامة الإنسان وحريته وتستوعب مواهب الشباب وطاقاتهم وإبداعاتهم. سوريا التي تستطيع تأهيل شبابها والاستفادة من طاقاتهم لبناء مجتمع يعيش فيه الجميع بحقوق واجبات متساوية.

خرجت من اللقاء متفائلة بمستقبل مشرق لبلد يحبه أبناؤه بهذا القدر، ويستعدون للتضحية بكل ما لديهم في سبيله، وبـ"أسوارة" ثورية بألوان علم الاستقلال صنعتها فتاة من فتيات المجموعة ووضعتها حول معصمي كهدية جميلة جداً، قبل أن أغادر.

صفحة المجموعة على الفيسبوك:
https://www.facebook.com/ChalkFreedom

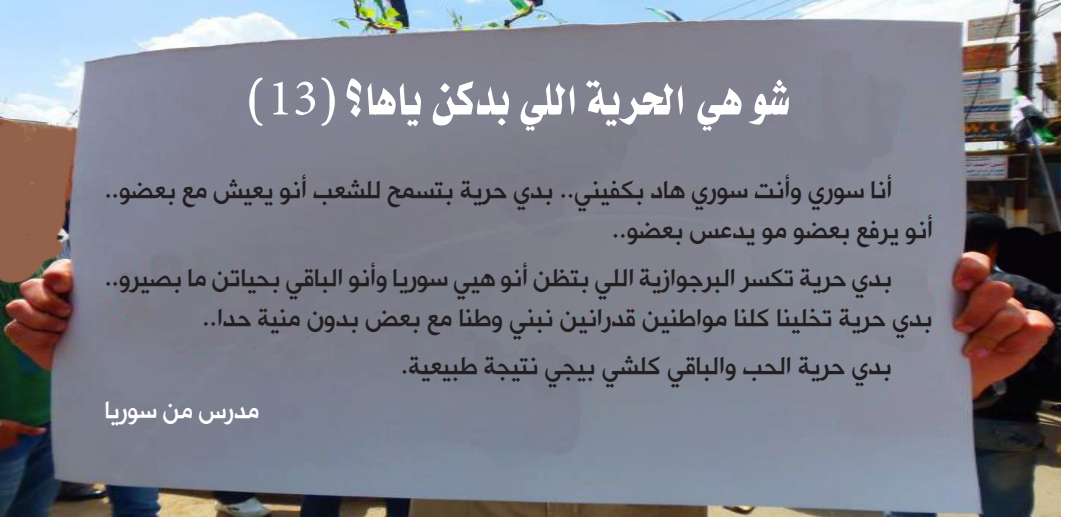

إيمان جانسيز

واحد بالصحرا أغاث ملهوف وشربو مي.. قام العلهوف خانو وسرقلو أمتعتو وحصانو.. ناداه الشهم وقتلو: خود أغراضي بس أمانة لا تقول لحدا شو ساويت فيني مشان النخوة ما تموت بين العالم.. وأنتو عم تقتلونا فهمنا.. بس لا تقتلو القيم الكبيرة.. لا تفرغو حضن الأم من معناه.. لا تخلو الصغار يفقدو الثقة بأحضان أمهاتن.. ولك هزيتو معنى الأم بتلم.. صار حضنها يعجز يحمي الولاد.. صارو يموتو فيه وصار الحضن يموت كمان..

هالا جديد

فتشوا مليّاً في أسماء الشهداء.. اقرأوها جيداً.. مراراً.. قد يكون اسم أحد أحبّتك مكتوب.. جارك.. صديقة طفولتك.. المدن كلها صارت على القائمة والقائمة تطول.. الوطن كله على القائمة..

جمال داوود

اشتدت العمليات العسكرية في دمشق.. وقتل ما قتل في داريا.. وتفجير جرمانا.. ليجد سيادته ما يتحدث به في المقابلة، أو ليتطابق مع كلامه لاحقاً، فيرفع رأسه أمام الكاميرا كما فعل بوش الصغير، ويقول: اقترب الحسم.. سوف نقضي على الإرهاب.. فالانجازات الآن.. لسيادة الرئيس هو ليس ما عمر أو بنى أو أنشأ أو وفر.. بل هو كم قتل وكم هدم.. وكيف انتصر على شعبه!.. وعلى هذا.. اجتمع محبوه.. ودبكوا لرؤية وجهه الكريم!..

ندى صبح

الحي قد يهرب باتجاه الموت، خوفاً من أن يصبح لاجئاً أو نازحاً، رغم الرعب القابع في داخله نتيجة هذا الخيار.. لكن الميت الذي قصف "قبره" ترعبه أكثر فكرة النزوح إلى الحياة..!

خولة دنيا

إلى المجلس الوطني.. وهيئة التنسيق: إذا مطرت اليوم لا تستغربوا.. بكونوا الشهدا "عم يبزقوا" عليكم..!!

مها حسن

أخجل من السوريين داخل سوريا لأنني أعيش بمنأى عن الموت.. أخجل من دمع أمي - لازمة متكررة - وهي تودعني على الهاتف، وكأنها ما أن أقفل الخط، ستذهب إلى جوف الموت.

رشا عمران

ولأهل طرطوس: ولادكن يلي عم يموتوا ما عم يموتوا على الهوية: ما عم يموتوا لأنهن (علويين) عم يموتوا لأن في حدا حطهن مقابل ولاد وطنهن وحط السوريين كلهن تحت يافطة يا قاتل يا مقتول.. في حدا مستعد يضحي بالجميع ليضل محافظ على محله.. انسوا الأساطير يلي طلعولكن ياها عن تاريخ الاضطهاد.. الاضطهاد القديم كان اضطهاد بينعرضلوا ابن الريف، اي ريف كان، من ابن المدينة، كان اضطهاد طبقي مو طائفي.. انسوا أفتاوى ابن تيمية.. عشتوا بها البلد بعد فتاويه وتصاهرتوا مع السنة ونمتوا بيبوت بعض وأكلتوا من نفس الصحن.. انسوا التمانينات أو ارجعوا افتحوا هالملف وشوفوا شو صار وتذكروا أنو اكتر من أربعين ألف سوري راحوا بـ17 يوم وما حدا من يلي ضل منهن انتقم منكن.. انسوا خوفكن وفكروا بمستقبل ولادكن بالبلد.. الشخص، أي شخص، بيروح قد ما قعد وطول.. بس المستقبل ما بيروح ولا الأرض ما بتروح إلا إذا نحن بعناهن..

ناندا محمد

وقت كانت إسرائيل تستقطلنا طيارة سوريّة.. كان يصير مأتم بسوريا.. إنو هي ثروتنا وتعب الناس وحامية كرامة الوطن.. كانوا الناس يطلعوا عالستاطيح ويشجعوا الطيّار هوّ وراح بوج "الريح".. يصفقولو.. ويدعولو.. وفيه ناس تكشّر الطبخة إنبو بلكي رجع من فوق وميّل الغزّيل.. يا لطيف شو انقرف راس الوطنيّة.. نكس على راسها.. طيارتنا هلق بتطير.. بتقصفنا.. بتموتنا.. بتخرّب بيوتنا.. وبترجع.. بتتمرجل علينا.. بحلق الواحد ملح مرّ ولزج.. كلّو دم.. هوّ ومعميلع دمّو مع ريقو.. تمدّع الذاكرة عن القبول للواقع المرّ.. بالأمر الواقع الأمرّ.

إياد عماشة

هذا الستاتوس ما زال ساري المفعول.. أنا إياد عماشة، أقر أني لم أقتل أي كائن حي طوال سنواتي الـ ٣٢، لم أشارك أبناء حارتي يوما بطقوس قتل القطط الشاردة، لم أذهب معهم لصيد الحمام والعصافير بالنقيفه في الحرش المجاور لقريتنا، أخاف من حمل السلاح أي سلاح حتى الخشبي منه.. أقر وأعترف أني اليوم بت جاهزا نفسيا لأحمل سلاح وأسدده لرأس بشار الأسد مباشرة دون أن يرتجف لي جفن، ببرودة أعصاب لا يملكها أكثر القتله حرفية، وأعود بعدها بفرح لمتابعة قراءة ما يكتبه أصدقائي من أناشيد الحرية، وارتشاف ما تبقى من كأس عرق بكفيا الذي أحب.

أحمد أبازيد

حين يضطرّ القائد العامّ للجيش والقوّات المسلّحة لأن يقول للملايين أنّه ليس خائفًا.. فاعلم أنّ الخوف أضحى خبزه اليومي!

لينا مولا

الشعب السوري كان على الدوام نور هذه المنطقة.. مضيافاً عطوفاً كريما، وعندما تآمروا لحجب نوره، حل الظلام وغابت النخوة ليظهر الجوار متمرغا بالخسة والدناءة، مشهد ما كنا نتمنى مشاهدته أبدا.

ياسين الحاج صالح

المواجهة بيننا وبين هالنظام معركة حياة أو موت. إذا فاز فيها رح يسحقنا كمجتمع وثقافة، ويحول الجميع لعبيد أذلاء. لازم نسحق هالخسيس منشان ما يدمر البلد ويستعبد الناس، ودفاعا عن الحياة والحرية. ليس لنا خيار.

عمر كوكش

هنا مات شعبي.. حمص.. كم ذاكرة نحتاج لننساكي..

خديجة بن قنة

أين ثوار مصر وتونس وليبيا واليمن من دعم الثورة السورية ؟ هل لا زالت تلك الشعارات باقية كما كنا نسمعها بالميادين ؟ هل تعتقدون أن ثوراتكم اكتملت أمام صمتكم المريب من الثورة السورية وهي "أم الثورات"؟!!

أمجد بيازي

شجرة واحدة كافية لصناعة مليون عود كبريت، ولكن عود كبريت واحد قادر على حرق غابات من الأشجار فلا ترمي أعواد الكبريت في غابات الثورة..

حنان شقير

رواه حمصي: أم حومصية عم تهدد بنتها.. ليكي ولي.. إزا بتعيديها.. والله والله لشغلك مذيعة..

إياد كلاس

صدقوني يا ولاد شعبي الطيبين، هي مو أسلحتكم يلي عم توقع الطيارات.. وإنما هي أرواح شهدائنا بأول سما يلي ما عم ترضى تترك ساحة المعركة..

ميخائيل سعد

الى ميشلين عازار: هناك، في التاريخ، قصة عن عاهرة فرنسية كانت تعاشر الجنود الألمان أثناء احتلالهم لباريس. طلبوا منها أن تكون عميلة لهم وأن تتجسس على رجال المقاومة الفرنسية، قالت لهم: أنا أبيع جسدي لجنودكم كي أعيش، لكن روحي وعواطفي الوطنية فهي ليست للبيع..

ليلى العودات

من السخرية أن يعتبر قانون دولة متعددة القوميات «إضعاف الشعور القومي» جريمة وبالتالي تعزيز التعصب القومي واجب وطني.. تحيا الثورة المباركة، لولاها لرأينا، بهمة حزب البعث وآل الأسد وكلابهم الموزعين على البرلمان والمحاكم، قانونا يعتبر «إضعاف الشعور الطائفي» جريمة.

غياث معراوي

العبادات الميدانية.. الأطباء.. المسعفون.. أحد أسرار هذه الثورة العظيمة.

هالة العبد الله

الإنسانية أجمع وكل جمعيات الرفق بالحيوان تسامح بقتل الكلب المسعور عندما يفلت من العقال وينشر الموت أينما حل..

سعاد جروس

يوميات سورية..
الأول: شو الأخبار اليوم ؟ الثاني: ما في شي.. مجزرة صغيرة.
الأول: بيعين الله.. وين صارت المجزرة؟
الثاني: ما انتبهت ولله شفت الأخبار عالسريع.
الأول: يعني ما في شي ؟ الثاني: لا ما في شي ولا شي..

صبحي حديدي

حذار من أن تزر وازرة وزر أخرى!.. النقيب رازي صافي علي، من الفرقة الرابعة ومجرم مجزرة داريا، يمثل نظام آل الأسد، وليس أي دين أو طائفة.

زياد خداش

ماذا سأكتب بعد امرأة من (داريا) منحنية بكامل موتها وجسمها حماية لطفلها الذي مات، أقبلها مات أم بعدها، من الذي شهق أولا شهقته الأخيرة؟ من الذي قال بها!!!!!! الأخيرة أولا، هي أم هو؟. ما الذي يمكن أن يقال بعد داريا؟ أيها الكلام الذي بعد داريا: اخرس، فقط اخرس.

الآن ونحن ننتظر موتا طائشا يصبح التفكير في المستقبل ترفا حقيقيا، برغم إيماننا الذي لم يتزعزع منذ اللحظة الأولى لثورتنا بحتمية النصر، وهذا الترف غالبا ما يقلقنا ونفكر فيه إلى درجة أن أغلب أحلام يقظة السوريين تتشابه إلى درجة كبيرة في تحقيق حلم رحيل النظام أو التوقف عن القتل أو انتظار البيان رقم واحد، لكن رغم هذا الدم والقتل والحكايات التي ل

ن يصدقها العالم فإننا نحلم بالنصر، نحلم بدولة مدنية أعتقد أنها لن تكون محل خلاف وتجاذبات بين السوريين، لأنها ببساطة الشكل الوحيد الذي يستطيع الحفاظ على سوريا بلدا متعدد الثقافات والأديان والقوميات والطوائف، ويحافظ على فرادتها أيضا.

تعرضت الثورة السورية إلى خيانة العالم الذي اكتفى بالكلام وبيع دمائنا في بازار مفتوح، وهذه الخيانة ستجعل من الثورة متحررة من أثقال كثيرة لكن الشروخ الداخلية التي خلفتها سياسات النظام لن يكون من السهل ترميمها، وإن كانت ثقتي بشعبي وتاريخ تعايشه موجودة، لكن المنطق يقول بضرورة الاحتراس في إعادة بناء الثقة بين السوريين، وهذه ستكون مهمة مستقبلية عظيمة تستدعي الكثير من العمل الجاد، فالثورة السورية لا تسقط نظاما بالمفهوم التقليدي إنما تسقط مجموعة محاور لها جذور عميقة، وأعتقد أن انتصارها سيمنح الثورات العربية دفقة دم جديدة للنظر إلى المستقبل بثقة أكبر، لكن المستقبل نفسه كيف سيكون شكله وسط حقل الألغام الذي تقوم منذ الآن قوى دولية بزرعه في طريقها وبشكل علني أيضا، هذا هو السؤال الأكثر إلحاحا خصوصا أن المرحلة الانتقالية في مصر لم تكن سهلة ومليئة بالندوب، وهذا سيؤثر بشكل أو بآخر اعتماد براجماتية النفاذ بريش الثورة ما استطعنا إلى ذلك سبيلا، لكن لن تكون بالضرورة المساومة هي الطريقة الوحيدة للحفاظ على الثورة ومنع خطفها من الداخل والخارج.

لا أفكر في المستقبل إلا كجزء من هذا الحاضر الدامي، حين تسكت المدافع سنرى أية كوارث حلت في أرواحنا وأجسادنا وأية ندوب في جسد ثورتنا، وبعدها سنرى أي مستقبل ينتظرنا وإن كنت أميل للتفاؤل بأن السوريين سيستنجدون بتاريخهم القديم والجديد، كما سيستنجدون بأرواح أجدادهم لمنحهم البركة التي يحتاجونها ليعبروا إلى مستقبل.

خالد خليفة

داريا أرض الأحرار

■ بلال سلامة

داريا مدينة الأحرار، المدينة التي انتفضت ضد نظام الأسد الظالم وحملت لواء الثورة منذ بدايتها، وصمدت بوجه الطاغية الغاشم فلم يستطع إذلالها رغم كل عمليات القتل والسرقة والاغتصاب التي قام بها، وخصوصاً في يوم السبت الأسود 25 آب 2012 عندما ارتكب إحدى أبشع مجازره ولم يتوانَ عن قتل الشباب والنساء والأطفال بأبشع الطرق والوسائل، حتى أن العين لا يمكنها إلا أن تجهش بالبكاء كلما ذكرت تفاصيل هذه المذبحة التي لن ينساها التاريخ مهما مضى. كانت أولى مشاركات أبناء داريا بالثورة في اعتصام 16 آذار من العام الفائت أمام وزارة الداخلية، حيث اعتقل منهم ثلاثة شبان وفتاتان، أما أولى المظاهرات التي خرجت هناك ضد النظام فكانت يوم الجمعة 25 آذار 2011 من مسجدي أنس بن مالك والعباس. تصدر من مدينة داريا جريدة (عنب بلدي) وهي نتاج الحراك السلمي في داريا، وهدفها طرح أفكار نادراً ما يتم التطرق إليها، وإيصالها لطبقة واسعة من الناس. ومن المؤكد أننا عندما نتحدث عن داريا لا يمكننا إلا أن نذكر الشهيد غياث مطر الذي اعتقل فيها في 6 أيلول 2011 وبعد أيام من اعتقاله سُلّم جثمانه الطاهر إلى أهله بعد أن قضى تحت التعذيب.

داريا مدينة تاريخية تعود إلى ما قبل الميلاد، اشتق اسمها من كلمة (دار) وهي كلمة سريانية تعني البيوت الكثيرة.

تقع داريا ضمن محافظة ريف دمشق، في الجهة الجنوبية الغربية من دمشق وتبعد عنها ثمانية كيلومترات تقريباً. يحيط بها من الشمال المزة والمعضمية، ومن الجنوب صحنايا، ومن الشرق كفرسوسة والقدم، ومن الغرب جديدة عرطوز.

حسب الإحصاءات فإن عدد سكان مدينة داريا عام 2007 يتجاوز المائة وخمس وخمسين ألف نسمة، بينما تقدرها مصادر أخرى بنحو ربع مليون نسمة، غالبيتهم يدينون بالإسلام، وحسب إحصائية عام 1957 بلغ عدد سكان داريا عشرة آلاف واثنان وستون نسمة منهم ثلاث مائة وخمسين نسمة من الروم الأرثوذكس وهم الطائفة المسيحية الأقدم، ومائة وخمسين نسمة من الروم الكاثوليك الذين يعود تاريخ تواجدهم في المدينة إلى عام 1934م. ولا تالي داريا عاداتهم وتقاليدهم التي ما تزال قائمة حتى اليوم من الشجاعة والإباء والأخلاق العالية. يعمل معظمهم بالزراعة وتربية الأبقار، وبعضهم الآخر يعمل في المهن الحرة.

قبل الفتوحات الإسلامية كانت داريا مركزاً للغساسنة، حتى عام 635م عندما جاء أبو عبيدة عامر بن الجراح وفتحها وأصبحت إحدى حواضره الهامة، وسكنها عدد من الصحابة منهم الصحابي بلال الحبشي والذي دفن فيها، وقيس بن عبّاية، وأسود بن أصرم المحاربي، وأبو راشد الخولاني، وأبو مسلم الخولاني (المتوفى عام 62 هجري) استوطن فيها بعد أن ذهب إلى المدينة المنورة ووجد أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد توفي، فمضى إلى الشام واستقر في داريا. وأصبحت داريا أكبر قرية يتجمع فيها أهل اليمن، ومنها قبيلتي (خولان وعنس).

تعرضت داريا للحرق نتيجة المنازعات على الخلافة في عهد الأمويين والعباسيين عام 126هـ، وكذلك عام 176هـ في عهد الخليفة هارون الرشيد عندما ثارت الفتن بين القيسية واليمانية بما عرف باسم (فتنة أبي الهيذام) حيث حرقت داريا ونهبت بيوتها، ويذكر أن سبب هذه الفتنة غضب أبو الهيذام وهو زعيم القيسية في بلاد الشام على عامل الخليفة هارون الرشيد بسجستان الذي قتل أخاً له، فثارت ثائرته وخرج على الرشيد بعد أن انضم إليه عدد كبير من القيسية.

يقول ابن عساكر في كتابه تاريخ مدينة دمشق حول هذه الفتنة: (قرأت بخط أبي الحسين الرازي مما أفاده بعض أهل دمشق عن أبيه عن جده وأهل بيته من المربين قال: وقال قيس الهلالي في يوم داريا: * كأنا يوم داريا أسود * تدافع عن مساكنها أسودا * تركنا أهل داريا رميما * حطاما في منازلهم همودا * قتلنا فيهم حتى رثينا لهم * ورأيت جمعهم شريدا * إذا غضب الإله على أناس * دعا قيسا فصيرهم خمودا * وذلك أن قيسا غير شك * من الصوان بل خلقت حديدا).

كذلك تأثرت مدينة داريا في ربيع الثاني من عام 233 هـ الموافق لتشرين الثاني 847م بالزلزال الذي ضرب ثلاث دول في المنطقة وهي سوريا والعراق وتركيا، حيث سقطت المنازل وهلك الناس تحت الردم، وهربوا إلى المصلى باكين متضرعين إلى الله، وبقيت هذه الزلزلة مدة ثلاث ساعات ثم توقفت. وقال ابن عساكر في كتابه تاريخ دمشق في حوادث 233هـ "زلزلت دمشق يوم الخميس ضحى فقطعت ربع الجامع وتزايلت الحجار العظام عن أماكنها ووقعت المنارة، وسقطت القناطر والمنازل وامتدت في الغوطة".

تأثرت داريا عام 416 – 417هـ بالمنازعات بين السلاجقة (وهم قادة من الأتراك) والأتابكة (الأتابك هو الوصي أو المربي للأمراء من أبناء السّلاجقة). كما تعرضت منطقة داريا للدمار على يد الغزو الصليبي عام 1148م /543هـ عندما تجمّع جيش فرنسي كبير قوامه سبعون ألفاً على رأسه لويس السابع ملك فرنسا، وتجمع جيش ألماني قوامه سبعون ألفاً أيضاً على رأسه إمبراطور ألمانيا كونراد الثالث، واتفق القائدان على الاتجاه لمحاصرة مدينة دمشق، فعسكرت قواتهما في منطقة داريا وشنّا الحملة الصليبية الثانية. كما تعرضت هذه المنطقة شأنها شأن المدن السورية الأخرى لغزو التتار وذلك عام 799 هـ بأمر من ملكهم أبغا بن هولاكو.

أما في زمن الاحتلال الفرنسي فقد وقعت في داريا معركة سميت (معركة داريا الكبرى) يوم الأحد 10 كانون الأول عام 1926 عندما حضر إليها عدد من قادة الثورة السورية الكبرى ومنهم الأمير عبد القادر الجزائري والشيخ محمد حجازي وكان عدد المجاهدين يقارب الخمسة والخمسين بينهم الكثير من أبناء داريا، حيث اشتبكوا مع الجيش الفرنسي هناك.

تحوي داريا العديد من الأضرحة والمقامات ومنها مقام النبي حزقيل وهو موجود داخل جامع مسمى باسمه، وكذلك مقام أبي مسلم الخولاني ومقام أبي سليمان الداراني وقبر بلال الحبشي وقبر أبي ثعلبة الخشني ومنبر الفاتحين قرب جامع المنبر.

تحوي داريا الكثير من المساجد منها ما بني قديماً ومنها المساجد الحديثة، أما المساجد القديمة فهي: مسجد أبي مسلم الداراني - مسجد أبي مسلم الخولاني - جامع المنبر - جامع عمر بن الخطاب - جامع العباس - مسجد داريا الكبير.

أما بالنسبة لكنائس المدينة فقد تم بناء كنيسة الطائفة الكاثوليكية عام 1937م، وهناك أيضاً كنيسة للروم الأرثوذكس والي الطائفة الأقدم بداريا.

تعتبر داريا من منطقة الغوطة الغربية، ومنذ القديم كانت تمتاز أراضيها بأنها سهلية تنعدم فيها المرتفعات ولهذا فإنها صالحة للزراعة وتتوفر فيها المياه الجوفية وكذلك ترتوي من نهري بردى والأعوج. ومما يشهد على قدم الزراعة في هذه المنطقة وجود الأقنية الرومانية فيها، وتشتهر داريا بزراعة الأشجار المثمرة وبعض الزراعات الموسمية. وتشير المصادر التاريخية بأن أراضي داريا كانت منذ آلاف السنين وحتى اليوم مصدراً هاماً لزراعة الكرمة في سوريا.

أما بالنسبة للصناعة، فالصناعات القديمة التي كان يمارسها سكان المنطقة تختصر في الصناعات القشية والفخارية وبعض الصناعات الزراعية وهي الصناعات التي تلبي حاجات الفلاحين من أدوات زراعية مثل النير الخشبي والفؤوس وأسرجة الخيول والمناجل وغيرها.

لم توجد في داريا أسواق تجارية قديماً بل كانت تعتمد على المقايضة والبائعين المتجولين، إلا أنه في عام 1929م وفي فسحة أرض قرب المخفرة بموقع مصلبة القهاوي أصبح الباعة يقصدونها من دمشق يوم الجمعة لعرض بضائعهم ليوم واحد في الأسبوع. كما كان هناك محل لبيع الأقمشة لرجل من آل عجم يبيع تلك الأقمشة على مدار الأسبوع وأصبح الآن سوق كبير لجميع أنواع الألبسة والأقمشة والأحذية وغيرها، وسمي بسوق عجم وكان المحل المذكور النواة الأولى للسوق وهو لا يزال قائما.

تغنى الشعراء بجمال داريا وبتنوع رياضها وحقولها فقال عنها الخليفة العباسي المأمون: (عجبت لمن يسكن غيرها).

وقال فيها الشاعر البحتري:

العيش في ليل داريا إذا بردا
والراح نمزجها بالماء من بردي

وذكر الشاعر الصنوبري داريا قائلا:

ونعم الدار داريا ففيها
حلا لي العيشُ حتى صار أريا

النشيد الملحمي

■ عروة المقداد

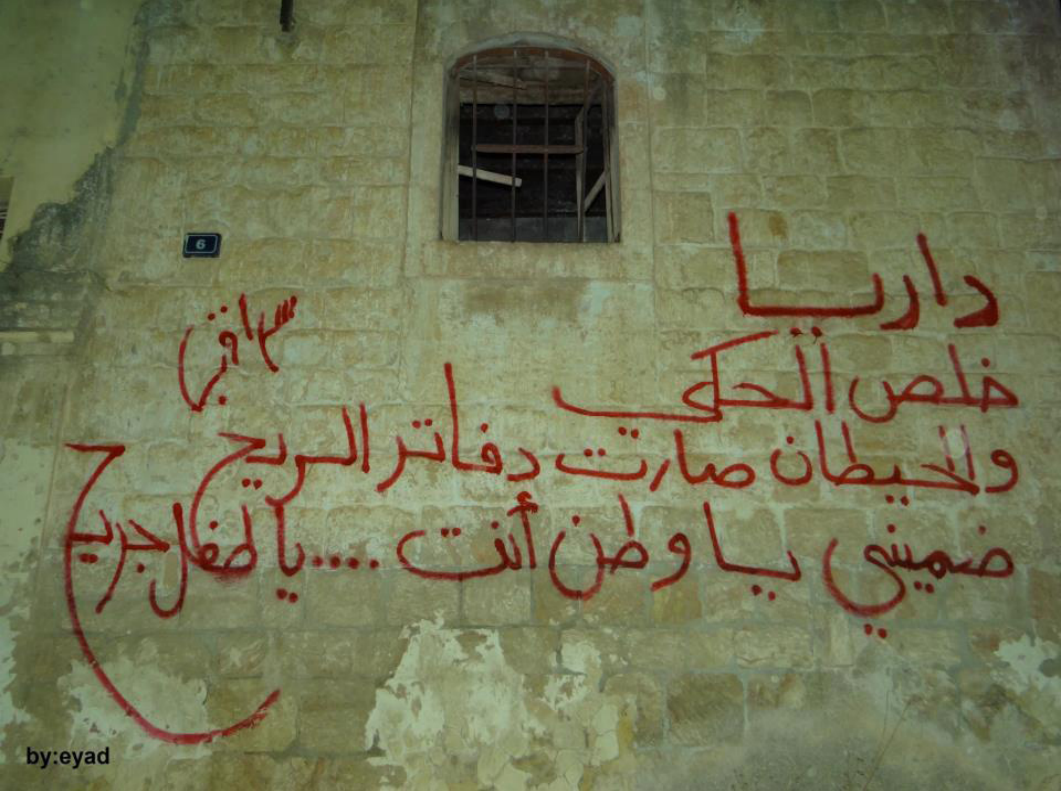

الساعة السابعة مساءً، تبدأ نشرة الأخبار نشيدها "الملحمي" الطويل، وتبدأ الجوقة الإغريقية بترديد الفصول، أتكئ أنا وصديقي على الأرض، وحيدين كما يليق بمجد عابر. أتحسس أعضائي، بعد قليل سيقتحم الأمن المنزل سننظر في أيعن بعضنا، يتوقف الزمن لتراقب قوات الأمن صمتنا الملحمي. يقاطعني صديقي: خلينا نعرف نشوف الأخبار وحاج تهذي باللحم. مضى عدة أيام ونحن نأكل زيت زعتر مع قليل اللبنة. أحاول أن أشرح له أنّ الملحمة ليست هي ذاتها الدكانة التي يباع فيها اللحم، يقول لي ما الفرق كلاهما يحتويان على لحم مقطع وأشلاء.

نظهر على التلفاز، نصرخ دون صوت. نحملق بملامح وجوهنا المرتعدة. أترى كم أنت خائف، أقول له لا لست خائف، ولست أنا الذي ظهر للتوا. وأهرب خلف تبريرات لا تنتهي من العناد المعتاد الذي ورثته عن جدتي الفلسطينية. جدتي علمتني الصمت، في وادي القريبة البعيد، حينها قالت لي كل صاوية بهل السهل علامة أوعك تضيعها. من يومها وأنا معتل المزاج أرعن مثل قذيفة طائشة سوداوي ونزق دون حاجة لثورة أو حرب. يقول لي: صرعتني بجدتك وبعبارتك المشهورة، ما بدك تخلينا نسمع الأخبار.

جدتي توفيت قبل الثورة، لكنها بكل تأكيد كانت ستكون مع الثورة. من ليس مع الثورة؟ أيعقل هذا! لكن عمي الصغير موالي، في منزلهم الصغير في درعا كان يجمعنا حوله كصديق ويتهكم على العالم بعبارات فاحشة، ليخلصنا من قمع والدي الذي أراد لنا ككل السوري مستقبل مشرق في بلد تكاثفت فيه غيوم خوف وحجبت كل شيء. عمي يقول لكم ثورتكم ولي منزلي!

جدي صاحب نكتة. نكتة لم أورثها عنه، يقولي لي صدقي: أنت نكد لمين طالع بالعايلة. لا أعرف أفكر في العائلة بشطريها الممتد جنوب سوريا مروراً بالبنان حتى اليمن. يقولون أن نسبنا يعود إلى المقداد بن أسود الكندي، في مضافة جدي التي عمرها مائة والتي شهدت مقاومة الفرنسيين أيام خيالة الزيدي كان يروي تفاصيل عن تاريخ العائلة الطويل. لكنني كنت أطرد من المضافة اثر تعليق أرعن لا يليق بقعدة المضايف وحديث الكبار.

لا شك أنني كنت معجباً بخيالة الزيدي في طفولتي، ذلك جزء من عالمي الثوري. لكن هذه الثورة لا يوجد فيها خيول. تباً لو أنني استطعت أن أملك حصاناً وأجابه فيه أرتال الأمن عندها سيزغردن لي النساء وأنا قافل إلى القرية مكللاً بالنصر. لكنني لم أكن بهذا الحجم، كنت كفأر أركض مرتعداً كلما مرت مظاهرة. أنظر في المرآة مطولاً وأشاهد ملامحي المتآكلة. وأنا أضمر وأضمر حتى أتلاشى.

نغيب بين الجموع في الشاشة. نجهد في البحث عن أنفسنا. ونسمع صوت القذائف بطريقة أخرى. يحكي لي صديقي عن جيوش الصحفيين التي تزورهم كل يوم. يقولي لي نحنا أوتيل بعدة نجوم. نستقبل صحفيين يسرقون قصصنا ويذهبون، يتركون لنا ابتسامات فقيرة كصدقة على تفاعلهم معنا. ومن ثم يرتدون إلى أمسياتهم. يصمت قليلاً ويقول لي الحرب خدعة.

دوائر مطر كثيفة تسقط من سقف الطفولة. يقفز أخي من السكايب. محملا بكل أنواع الهم كبطل أسطوري، لكنه أكثر حيوية من مسرحية لسوفكليس. يدحرج صخرة كبيرة عن صدره نحوي ويقولي: لي الكرك سوف تقصف. صمت طويل لا يخترقه سوى سعال مدافع، تبسق دم كبير إلى جوف الأرض. وين أنت؟ عند كتيبة من الجيش الأحرار بحالهم... شو عم تعملوا؟ عم نضحك مكيفين، هون عندنا كل شي. خوف وضحك وقذائف.

يغيب السكايب خلف غيمة كثيفة من الذكريات، سوالف طويلة مع أكواب متواصلة من القهوة في غرفة صغيرة في الطابق الخامس، حيث الأحلام مشروعة، بعيدة عن كل أنواع الرقابة. في الطابق الخامس قصفت الغرفة الصغيرة، قالت لي أمي حينها: لله بعوض...

لم يعد أبو السيم يصفر لي كالمعتاد، بعد أن يوقظ كل أفراد الحارة على صفيره الحاد، ويصرخ لي في الساعة الثانية بعد منتصف الليل، لك وينك فيقنا الحارة. أضحك من شباك المنزل المحترق في الطابق الخامس وأنزل الدرجات راكضاً لنتسكع ساعات طويلة في أزقة الشام القديمة، ونحن نسمع سارية السواس. شلونه شلونه شلونه. لا تنفك تدور في رأسي.

أفتح الفيس بوك: صديق يكتب: وين سهرانة مبارح يا بنت الشلب مساكن برزا ولا بالتل، لا ضل مساكن برزا ولا تل، قومي تنرقص يا صبية وظهري على الجميزة وشبكي ايدك بإيدي.

شلونه شلونه مرة أخرى، عمن كانت تتساءل سارية السواس ترى؟ هل تردد أغنيتها الآن وسط غصة كبيرة على أحد ما فقدته؟ سيلومني ناشط ما على تفكيري السخيف بسارية السواس، سيكيل لي كل الانتقادات واللوم على جلستي الصغيرة المتواضعة وعلى تفكيري بسارية السواس والمجازر ترتكب واحدة تو الأخرى. ويوصيني أحدهم بوصية الزير التراجيدية لا تصالح.. لا تصالح.. لا تصالح.

أستل سيجارة طويلة كفارس عتيدي معبئة بكل أنواع المخدرات لأنسى..

لا أستطيع النسيان، تلك تجربة تراجيدية لأكون بطل. حسناً، منحتني الثورة ميزات كثيرة منها أن أكون بطل. كنت بطل فقط بعيون النساء! عرفت نساء كثيرات باسم الثورة، لكنني عرفت لاحقاً أنهن لم يحببني. لأنني كنت ضئيل وصغير، رومنسي بقبعة روبن هود. لكن القبعة كانت أكبر مني، ابتلعتني. لم يبقى مني غير قبعة كانت النساء يتداولنها على رؤوسهن ومن ثم يرمينها. كنت أحاول أن أشرح لهن أنني أصغر من تلك القبعة، لكنني حشرت في الدور، فيما كان صديق يقول في بداية الثورة حذار أن تتحول الثورة إلى شأن شخصي، وأن تضعها كل يوم في خزانتك. كل منا يخبئ الثورة في خزانته كما يخبئ أشياءه الحميمية ويعتقد أنها ملكه وأنه حر التصرف فيها كدمية.

الملحمة ما زالت مستمرة، والنشيد طويل، أغفوا ليستطيع أن يشاهد صديقي الأخبار. أغفوا حين يقفز علي وجه صديقي في الحلم وقد اخترقت رأسه رصاصة أطارت جبهته. يقول لي لا تكن تراجيدي، ألا تريحني من استدرار العواطف حتى في أحلامك أيها الوغد.

شهداء سوريا

مجموع الشهداء (23329)

دمشق: 1265
ريف دمشق: 3812
حمص: 6192
حلب: 1896
حماه: 2240
اللاذقية: 414
طرطوس: 42
درعا: 2334
دير الزور: 1520
الحسكة: 133
القنيطرة: 46
الرقة: 91
ادلب: 3327
السويداء: 17

2417 عدد العسكريين
20912 عدد المدنيين
1335 عدد الإناث
638 عدد الأطفال الإناث
19801 عدد الأطفال الذكور

المصدر: مركز توثيق الانتهاكات في سوريا 1 / 9 / 2012
http://vdc-sy.or